التحرير
سياسية اخبارية جامعة
إعلام هادف يلتزم بقضايا الأمة
ISSN 2382-2643

جريمة إلغاء نظام الأوقاف في تونس

ملف
دور الإعلام الغربي في تشويه صورة الحضارة الإسلامية...

التحرير — الاحد 21 ذو القعدة 1441هـ الموافق لـ 12 جويلية 2020 م العدد 299 الثمن 700م — التحرير

بعد الإرهـــــاب، الفساد مجال للاستثمار وللتكسّب السياسي

الانفصام بين الحكومات والشعوب.. التشخيص والعلاج

استمرار الاستغلال الاستعماري في أفريقيا

كلمة العدد

بعد الإرهاب, الفساد مجال للاستثمار وللتكسّب السياسي

صنعت لهم الولايات المتحدة الأمريكية وأشياعها حصانا كالذي صنعه الإغريق, وبه دخلوا مدينة طروادة وتمكنوا من احتلالها. حصان أمريكا هذا هو محاربة الإرهاب, من امتطاه حاز على رضا البيت الأبيض ومن أبا ناله سخط الغرب وغضبه. وأكثر من ركب صهوة الحصان الأمريكي هم حكام المسلمين وروافدهم, حتى أنهم تفوقوا في استغلاله على شياطين الغرب أنفسهم, فلقد ظل لفترة طويلة الأداة الأفضل للوصول إلى المآرب وتحقيق المكاسب. فمن يكون حصاده في الانتخابات هزيلا أو يكون سير الأحداث عكس ما يريده يستدعي الإرهاب فيأتي على عجل وتحت وقع حوافره يفاوض ويناور ويقدم نفسه على أساس أنه هو المنقذ الأوحد من مخاطر هذا الوحش المرعب والأمثلة أكثر من أن تحصى على أن فزاعة الإرهاب كان لها كلمة الفصل في تحديد أكثر من سياق. علما أن من ابتدعوا الحرب على الإرهاب وكل من سار خلفهم هم أصل الإرهاب وفصله, فهم أصل كل المثالب والشرور والآثام, تراهم يشنون الحروب على هذا الشر أو ذاك إما لتبييضه وتثبيته أو ليدرؤوا عن أنفسهم تهمة الاتصاف به, أو للتكسب من محاربته وتلميع صورهم, وهذا ما هو جاري اليوم في تونس من خلال الحرب الطاحنة التي تدور رحاها حول تهمة الفساد التي تطارد رئيس الحكومة «الياس الفخفاخ» والتي باتت تعرف بتهمة تضارب المصالح.

جميعنا يتذكر الحرب التي أعلنها رئيس الحكومة السابق «يوسف الشاهد» على الفساد والهالة الإعلامية التي أحاطت بها وحملة التطبيل التي قادتها جوقة الدجل لتلميع صورة النظام الديمقراطي الفاسد وإيهام الناس بأن مبادرة الرئيس الراحل «الباجي قائد السبسي» بتشكيل ما يسمى ب»حكومة وحدة وطنية» كانت حركة قام بها رجل دولة محنك وصاحب نظرة ثاقبة وتفكير مستنير, والدليل أن رئيس الحكومة الذي جاء به «الباجي قائد السبسي» ج في ما عجز عنه الأولون والآخرون وتمكن من تخليص البلاد من داء الفساد الذي ظل لعقود ينخر جسمها ويحول دون نهضتها ويمنعها من التحليق في سماء الرقي والازدهار, هذا من ناحية ومن ناحية أخرى طمأنة الناس بأن حكومة الشاهد جاءت لتحقق أهداف الثورة وتقطع مع العهد البائد وتؤسس لمرحلة جديدة انتظرها أهل تونس عقودا طويلة, لكن تلك المرحلة لم تأت وظل الحال كما هو عليه. وبمجرد انقشاع غبار معركة «يوسف الشاهد» على الفساد وضحت الرؤية وأدرك الناس أن ما قام به الموظف السابق بالسفارة الأمريكية بتونس من قبيل الحق الذي أريد به باطل, واستمرت شجرة الفساد في النمو ينعم بثمارها فاسدو الأمس واليوم إلى أن عثر زراع الفساد وحاصدوه عن حق جديد متلبس بالباطل وهو مساهمة رئيس الحكومة الجديد «الياس الفخفاخ» في شركات أبرمت صفقات مع الدولة وهنا انتفض المزايدون واستوقفوا رئيس الحكومة وأقسموا جهد أيمانهم بأن لا يمر حتى يخضع للتحقيق في ما اشتبه عليهم أنه فساد. وانقسم الجمع إلى فريقين فريق يتهم «الفخفاخ» بالفساد وفريق نفى عنه هذه التهمة وجند كل إمكانياته للدفاع عنه. الفريق الأول يتكون من أحزاب في الحكم ومن أخرى في المعارضة, أما التي في الحكم منها من يطالب –حركة النهضة- بتوسيع دائرة الحكومة ويرفض استمرارها بتركيبتها الحالية وهذا ما يرفضه رئيس الحكومة والأحزاب المؤيدة له. أما من في المعارضة –حزب قلب تونس- يرى أنه تعرض للظلم والإقصاء بإبعاده عن المشاركة في الحكم وحرم من حقه الذي منحته إياه نتائج الانتخابات. هذا الفريق وجد في وضعية رئيس الحكومة الفرصة السانحة ليزايد ويناور ليصل إلى مبتغاه إما بإسقاط حكومة «الفخفاخ» برمتها أو إجبار رئيس الحكومة على الاستقالة وإما أن يرضخ لشروطه وهو توسيع حزام الحكومة وتحويرها على النحو الذي تريده «حركة النهضة» وحزب «قلب تونس» والمطية هي شبهة الفساد المتعلقة ب «لياس الفخفاخ». أما الفريق الثاني المدافع عن رئيس الحكومة يرى أنه هو المستهدف بتوسيع الحكومة وأن الغاية من طلب «حركة النهضة» هو إخراجه من نعيم قصر القصبة وحبل باته يشكله بقاء «الفخفاخ» واستمرار الحكومة بتركيبتها الحالية وهذا يخص حزب «حركة الشعب». علما وأن المكون الآخر للفريق المدافع عن «الياس الفخفاخ» منذ سنوات وهو يرفع لواء محاربة الفساد حتى صارت «ماركة» مسجلة باسمه ومقتصرة عليه دون سواه, فلا يرى من أحد غيره يملك من الكفاءة والشجاعة الكافية ليقضي على الفساد – «التيار الديمقراطي» إلى درجة أنه وضع مشاركته في الحكومة تحت شرط حمل أحد أعضائه حقيبة وزارة «الحوكمة ومكافحة الفساد وكان له من أراد ومنح «محمد عبو» حقيبة تلك الوزارة تعيين ارتعدت له فرائس الفاسدين ليكتشفوا في وقت وجيز أن « عبو» مجرد محاكي ل» دون شيكوت» في محاربة طواحين الهواء وأنه وحزبه لا يختلف عن البقية في شيء, فهو كغيره يتكسب من محاربة الفساد فهو يحاربه حين تقتضي مصلحته ويهادنه ويدافع عنه اذا اقتضت الضرورة ذلك. فما نراه اليوم من تطاحن وتجاذب مجرد مناكفات ومزايدات من أجل تحقيق مكاسب رخيصة يساعد النظام الديمقراطي الوضعي على خوض غمارها.

لهذا نرى فاسد يحاسب فاسدا ومفسدا يدافع عن مفسد, فالجميع موصوف بالفساد لأنه وببساطة شديدة الدولة والنظام التي تطبقه يسمح بالفساد والإفساد..

أ.حسن نوير

منح الجنسية لا ينصر قضية ولا يحرر أرضا

وليد بليبل

الخبر:

وقع رئيس الجمهورية التونسية قيس سعيّد، يوم الاثنين، أمرا رئاسيا يقضي بمنح 135 شخصا الجنسية التونسية، بينهم 34 فلسطينيا، وفق ما أكده مصدر مسؤول برئاسة الجمهورية، في تصريح لوكالة تونس أفريقيا للأنباء، وأوضح المصدر أن منح الجنسية التونسية لهذا العدد من الفلسطينيين «يأتي في إطار حرص رئيس الجمهورية على نُصرة القضية الفلسطينية ولا يمسّ من ملف حق العودة للفلسطينيين».

التعليق:

منذ احتلال يهود المجرمين لأرض الإسراء والمعراج وحتى هذه اللحظة، مر على الأمة الإسلامية عامة وأهل فلسطين خاصة الكثير من الرويبضات الذين تاجروا وتلاعبوا بعواطف المسلمين تجاه احتلال فلسطين، أمثال عبد الناصر وحسن ملك المغرب وحسين ملك الأردن وصدام رئيس العراق وحكام إيران وحزب إيران اللبناني، مع أن المشاهد المحسوس أن بطش هؤلاء ونيران أسلحتهم لم تعرف يوما إلا قتل المسلمين والتنكيل بهم وسَلِم منهم يهود، وقد قام بعض هؤلاء الرويبضات العملاء بإشعال حروب تمثيلية أريد منها تثبيط الأمة وإقناعها بأن يهود عدو لا يُهزم، وإزاء ما يقوم به كيان يهود من جرائم لا نسمع منهم إلا شجبا واستنكارا وتهديدات فارغة ورفع شعارات طنانة وجعجعة دون طحن، هذا ناهيك عن جامعة الدول العربية واجتماعاتها الشكلية البائسة، ومجلس الأمن وقراراته التي ثبّتت كيان يهود وأضفت عليه «شرعية دولية».

أما اليوم وبعد عقود من التنازلات والاتفاقيات المقيتة التي جعلت من احتلال الأرض المباركة فلسطين قضية وطنية تخص أهل تلك الأرض وحدهم، فلا يزال هناك من الرويبضات مَن يراهن على دغدغة مشاعر الأمة وحُرقتها لتحرير فلسطين، ليكون ذلك مكسبا انتخابيا له، تماما كما حصل مع قيس سعيد خلال حملة ترشحه مقلدا بذلك دجال أنقرة أردوغان.

هذا هو حال حكام الضرار ومن والاهم من أحزاب وجماعات، وحاكم تونس الجديد لا يختلف عنهم في شيء، فكلامه ووعوده قبل الانتخابات تبخرت بعد فوزه وتوليه الحكم، وها هو «ينصر» القضية الفلسطينية بمنح ٣٤ فلسطينياً الجنسية التونسية! وعلى الرغم من أن هكذا قرار هو ذر للرماد في العيون إلا أنه لم يشمل زوجة الشهيد محمد الزواري الذي قتله الموساد سنة 2016م، مع أنها تقدمت بطلب الجنسية التونسية منذ سنة 2012م، فلماذا لم يشملها قرار قيس سعيد يا ترى؟! هل يخشى فرنسا؟! إن هذه المواقف العرجاء ليست مستهجنة ممن وصف احتلال فرنسا لتونس بعقد حماية.

إن تحرير فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين المحتلة والمكلومة ليس بالكلام أو بمنح الجنسيات، بل يكون بتحريك جيوش المسلمين الرابضة في ثكناتها، وهذا مستبعد أن يقوم به أي رويبضة من رويبضات المسلمين، ولكنه سيكون قريبا بمشيئة الله تعالى على يد جيوش الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، والتي سنقيمها فوق أنقاض عروش وكراسي حكام السوء والخزي والعار، [وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً].

الرئيس قيس سعيد والخديعة الكبرى

الدكتور الأسعد العجيلي، رئيس المكتب الإعلامي لحزب التحرير تونس

أزاحت زيارة الرئيس قيس سعيد لفرنسا أخر غشاوة كانت تغطي سوأة النظام، سقطة كبرى أطاحت بما تبقى من امال عند المخدوعين بشعارات تونس دولة مستقلة ذات سيادة، لتتكشف أمامهم الحقيقة المرة أن بلادنا ما زالت محتلة وان من جاء من أقصى المدينة لم يكن سوى مبعوث "العم سام" ليمارس الخديعة الكبرى تحت شعار "التطبيع خيانة عظمى" والضرب على وتر السيادة وحرمة الأوطان.

لم يجد أنصار الأستاذ قيس سعيد أي منفذ للدفاع عن رئيسهم الذي تسربل برداء الخزي والعار بعدما بيض الاحتلال الفرنسي وحكم على نفسه بان يكون سطرا مخجلا في تاريخ تونس، إذ كيف لعاقل أن يقبل بوصف فرنسا الصليبية الحاقدة التي فتكت بأهلنا وقتلت رجالنا واغتصبت نساءها ونهبت خيراتنا ولا زالت تمارس الوصاية علينا، أن يصفها بأنها تمارس وظيفة الحماية ضمن اتفاق ثنائي وليس احتلالا كما حال الجزائر، وكيف لرئيس دولة يحترم دماء الشهداء وتضحيات المجاهدين أن يتسول على أعتاب دولة احتلت أرضه وأذلت شعبه فيطالبها بتعويضات مالية أو مشاريع استثمارية طالما الاعتذار يدينها

إنها والله لإحدى الكبر لا يمكن تبريرها لكل من كان له عقل سوي، فكيف بمن كان ينتمي لضحايا الاحتلال الفرنسي الغاشم ولخير أمة أخرجت للناس!

لقد حذر المخلصون مرارا وتكرارا من الانتخابات الرئاسية والنيابية في ظل التسلط والقهر والتبعية التي تعاني منها بلادنا، فما دامت بلادنا محتلة فإن معركة الحكم لا تأتي إلا بموظفي الدوائر الغربية والحسم فيها لا يكون بالانتخابات وإنما بالدعم الخارجي، والمعركة الحقيقية تدور في أروقة السفارات بينما تكون الانتخابات مجرد غطاء، وعنصر تغلف به عملية صناعة القرار لتبدو محلية وشرعية.

ضمن هذا الإطار يمكن فهم زيارة الرئيس وتصريحاته المشينة، فهي لا تخرج عن كونها تقديم الطاعة والولاء والخضوع للغرب الذي أبدع في تسويق خادمه في ثوب الناسك المخلص لامته وقضاياها، بعدما هيأ له كل الظروف التي دفعت الناس قسرا نحو الخيار الأوحد، إذا لا مجال لفوز من تخابر مع الصهاينة أمام من وصف المطبعين بالخيانة العظمى، وحيث لا مكان للصدفة في دوائر صنع القرار الغربية، فإن تسريب تخابر القروي مع بني صهيون قبيل الانتخابات لم يكن سوى عمل مخابراتي لإيصال الشخصية الأقدر على ضمان مصالح الغرب ومنظومته الحضارية.

ولسائل أن يسأل، ما الذي سيستفيده الغرب من إيصال قيس سعيد إلى قصر قرطاج ما دام غيره من المرشحين يعرض خدماته ويمكن أن يقدم لهم أكثر؟ الجواب أدلى به سفير الاتحاد الأوروبي برغاميني لإذاعة "اكسبرس اف ام" بعيد الانتخابات: الغرب يريد نجاح عملية الانتقال الديمقراطي في تونس لتكون نموذج في المنطقة، ولان عمليات سبر الآراء كانت توحي بمقاطعة كبيرة من الشعب التونسي للانتخابات، كان لا بد من إلقاء طعم جديد بشعارات جديدة لدفع الناخبين للمشاركة وإنجاح العملية.

الشمعة المضيئة في كل هذا أن قسما عريضا من الشعب التونسي لم تنطلي عليه الحيلة فقاطع الانتخابات، لإدراكه أن معركة الحكم لا تحسم عبر الصندوق لان أنظمة الحكم القائمة في البلاد العربية ومنها تونس ليست موجودة إلا بقرار من الدول الغربية باعتبارها تشكل الضمانة لبقاء البلاد والعباد تحت الهيمنة الغربية. أما القسم الآخر الذي تحمس لقيس سعيد وانتخبه فلم ينتظر طويلا ليكتشف الخديعة الكبرى ويسحب الغطاء الشعبي عن الرئيس ليبقى مكشوفا ينتظر مصير من سبقوه.

في هذا المقام وجب رفع القبة لحزب التحرير الذي عارض بشراسة العملية الانتخابية ووصفها بالجريمة الكبرى واعتبر قيس سعيد: الوجه المزين للنظام وأداة لتثبيت المنظومة السياسية القائمة على التبعية للغرب، وهو اليوم يستفيد من هذا السبق ويكتسح الساحات ويعرض مشروعه على أهل الفكر والرأي دون إغفال الخطوات العملية لإيصال مشروعه للحكم في ظل النفوذ الأجنبي.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

حين يفوق وعي الناس وعي الحُكّام
شباب تطاوين المحتج يصعّد ويتحول إلى الكامور

علي السعيدي

شهدت معتمدية رمادة من ولاية تطاوين مساء الاربعاء 8 جويلية حالة احتقان كبير اثر مقتل شاب أصيل الجهة بالمنطقة العازلة برصاص الجيش، احتقان رافقته حالة من التوتر وسط مدينة تطاوين وتجمع لعدد من شباب تنسيقية اعتصام الكامور احتجاجا على ما شهدته معتمدية رمادة تلك الليلة من مناوشات بين

شباب المنطقة ووحدات من الجيش.

وفي خطوة تصعيدية جديدة تحول شباب تطاوين صباح يوم الخميس 9 جويلية 2020 المحتج إلى منطقة الكامور بغاية غلق وحدة الضخ وكافة المنافذ المؤدية إلى الشركات البترولية وذلك بغاية الضغط على الحكومة لتنفيذ مطالبهم الخاصة باتفاق الكامور وحلحلة كافة الإشكاليات العالقة والتي تخص عدة قطاعات أهمها الماء والصحة والتنمية والتشغيل والمشاريع المعطلة.

ورغم تحوّل مستشار الحكومة جوهر بن مبارك إلى الجهة للاستماع إلى مشاغل شباب المنطقة والإعداد للمجلس الوزاري المزمع عقده بالجهة خلال الفترة القادمة، عبّر المحتجون عن رفضهم للحوار مع الحكومة معتبرين هذه الزيارة جاءت متأخرة، ولا هدف لها غير التسويف والمماطلة.

نأسف حقا لسقوط مسلم من أبناء هذه الأمة برصاص أخيه المسلم, والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم يقول: إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. ويقول أيضا: كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه. وفي هذا تشديد وتشنيع لمقترف مثل هذه الجريمة, فللمسلم حُرمة ولماله حُرمة ولدمه وعرضه فكيف تهون علينا دماء بعضنا وكيف نستهين بأحكام ربنا وكيف نجعل من أنفسنا وقودا لنار جهنم والعياذ بالله, من أجل دنيا نحققها لغيرنا بل لأعدائنا وذريعتنا في ذلك الالتزام بالقانون، أي قانون هذا الذي نقدسه ويُبيح قتل المسلم للمسلم دون جُرم ؟ إنّها والله لكبيرة فكيف نواجه بها ربنا؟؟

الملاحظ أن الدولة ليس لها من سبيل أمام طلبات الناس المُحقّة في رعاية الشؤون وتحصيل حقوقها الدنيا إلا البلطجة والترهيب. فعوض النظر بصدق في قضايا الناس وانشغالاتهم ومشاكلهم تدُسّ رأسها في التراب وتضع الحل الأمني في الصدارة. فهل إطلاق القنابل المسيلة للدموع, وهل الضرب والاحتجاز والقتل كفيل بإسكات الناس الجوعى وإجبارهم على العودة لبيوتهم؟؟ وهل هذا الحل باتَ يقطع مع خروج الناس على الحكام للمساءلة والمحاسبة أم لا يلبث الناس أن يعودوا من جديد ويزيدون قبضة الخناق على الحكام ونظامهم بعد يأسهم منه؟

إن الناظر لمطالب أهالي تطاوين من خلال اعتصام الكامور يرى وعيا ونُضجا وانضباطا ومُحاسبة راقية يُمارسها المحتجّون، في مُقابل هذا الوعي، هناك مُمارسة دنيئة وهرسلة وتضييق وتلفيق للتهم وتشويه للحراك من قبل الدولة ومُماطلة وتسويف لربح الوقت رغم اعترافها بمشروعية المطالب وإمضائها على بنود الاتفاقية منذ 2019.

لسائل أن يسأل: ما الذي يمنع الدولة من تنفيذ بنود الاتفاقية وإعطاء الناس جزءا من حقوقها وهل هي حقا تعيش أزمة خانقة تمنعها من الإيفاء بتعهداتها؟؟

والجواب بسيط وهو أن الدولة لا تملك من أمرها شيئا وسيادتّها منزوعة لفائدة الشركات الاستعمارية المنتصبة على تراب بلادنا منذ الإستقلال المزعوم. شركات عالمية عابرة للحدود والسيادة، استطاعت أن تجعل من حقول النفط والغاز قلاعا عسكرية مُحصّنة ومغلقة أمام أبنائها كما أن ساسة البلد يأتمرون بأوامر صندوق النقد الدولي والبنك الدولي بعد أن رهنوا البلاد ومقدراتها وصارت خارج السيطرة. بل الأدهى والأمر أن أمننا وجيشنا باتوا عسسا عليها لفائدة المستعمرين ومُنحوا تفويضا بقتل كل من يقترب منها بدعوى أنها منطقة عسكرية مغلقة.

الأهل في تونس باتوا على وعي بغنى البلاد بالثروات وأنها كفيلة بنقل أهل تونس من مستوى الفقر والخصاصة إلى رفاهية العيش وسؤدد الحياة، عكس ما سوّغ له الحكام منذ بورقيبة إلى بن علي إلى السبسي إلى هؤلاء، كذبا, أن لا ثروات في البلاد وأن ثروتنا الوحيدة هي تلك «المادة الشخمة»، كذبهم عرّته الحقائق, وإلاّ ما جدوى انتصاب عشرات الشركات النفطية والبلاد خالية من النفط؟

أمام هذا الوعي المتنامي وهذا التخاذل من الحكام، ما على الناس إلا الإصرار على ممارسة سلطانهم والجدّ في طلب حقوقهم ونُوجّه هذه الرسالة لرجال الأمن والجيش فنقول:

أيتها القوى الأمنية والعسكرية: إن الزّجّ بكم في صراع مع أهلكم وأبناء جلدتكم بدعوى حماية ثروات الشعب هي جريمة كبرى ومُغالطة مفضوحة,لأن ثروة البلاد تُستنزف من طرف الدول الإستعمارية وشركاتها الناهبة,فأفضل نسبة تملكها تونس في حقول النفط والغاز لا تتجاوز النصف وبعضها لا تملك منها شيئا ،فلا تكونوا حرّاسا للإستعمار على حساب أهلكم فتصبحوا مسبّة الأجيال القادمة,وقفوا جنبا إلى جنب مع أهلكم لاسترداد الحقوق وطرد الاستعمار وشركاته واقطعوا مع كل خائن وعميل وكونوا حراسا لشعوبكم تضمنون لهم أمنهم وحمايتهم وتذودون عنهم من كل عدو متربّص.

إطلاق اسم الشاذلي القليبي على مدينة الثّقافة
مهزلة ثقافية تاريخية

ياسين بن علي

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

تم مساء يوم "الخميس 09 جويلية 2020 إطلاق اسم الشاذلي القليبي على مدينة الثقافة.وكان رئيس الحكومة إلياس الفخفاخ حضر فعاليات أربعينية الشاذلي القليبي بمدينة الثقافة رفقة رئيس مجلس نواب الشعب راشد الغنوشي وبحضور وزيرة الثقافة شيراز العتيري.كما حضر عدد من أعضاء الحكومة والبرلمان وممثلين عن السلك الدبلوماسي المعتمدين بتونس الأربعينية.وتم خلال مراسم الأربعينية افتتاح معرضا للصور الفوتوغرافية التي توثق مسيرة الفقيد وتدشين منحوتة الفنان التشكيلي نجا المهداوي إهداء إلى روحه يُذكر أن الشاذلي القليبي أسس وزارة الثقافة وتولى شؤونها وشؤون وزارة الإعلام من عام -1961 1979 تخللها توليه منصب مدير ديوان رئيس الجمهورية".

هذا الخبر يبيّن لنا مأساة الثقافة في تونس؛ إذ سميّت مدينة الثقافة باسم رجل لا يمتّ للثّقافة بصلة من حيث الإبداع أو الانتاج. وإننا لنسأل القائمين على ما يسمّى بالثقافة في تونس، ما هي المعايير والمقاييس التي اعتمدت لتسمية المدينة الثقافية باسم رجل لم يساهم في الثقافة، وكان طوال عمره ومسيرته مجرّد خادم للنظام البورقيبي ونظام بن علي؟

والعجيب في الأمر، أن يحضر راشد الغنوشي بوصفه رئيس مجلس نواب الشعب حفلة التدشين فرحا مسرورا مبتهجا بهذا الإنجاز العظيم متناسيا تاريخ الرجل.

ونذكّر هنا بموقف الشاذلي القليبي من نظام السابع من نوفمبر؛ نظام بن علي، من خلال تقديمه لكتاب "7 نوفمبر: الثورة الهادئة" الذي كتب لبيان انجازات نظام بن علي بعد خمس سنوات من انقلابه. يقول الشاذلي القليبي: "ولا شكّ أن إعلان السابع من نوفمبر، وما أوحى به من مبادرات واصلاحات، يستجيب لطموحات متأصلة في الشعب التونسي... وبعد خمس سنوات مضت، فإنه في استطاعة كل تونسي أن يسبر غور هذا التحوّل الذي حصل، وهذه الجهود التي بذلت، وتبذل كلّ يوم، في مختلف المجالات الداخلية والخارجية. وإلى بيان معالم التغيير الذي قطع، يطمح هذا الكتاب الذي يتألف من دراسات قطاعية، تغطي جوانب هامة من الثورة الهادئة التي يقودها الرئيس بن علي، بكل تصميم" (ص29-28 من الكتاب).

يبدو أنّ الغنوشي رئيس مجلس النواب نسي أنّه في الوقت الذي كان فيه الشاذلي القليبي يقدّم لكتاب يبرز إنجازات بن علي كان هو في المنفى، وكان أبناء التيار الإسلامي ومنهم أبناء حركته يذوقون صنوف العذاب من جلّادي السابع من نوفمبر.

إنها مهزلة ثقافية تاريخية أنّ تسمّى مدينة الثقافة باسم رجل لم يكن سوى دمية في أيدي النظام، وليس له من إنتاج أو إبداع ثقافي ينسب إليه. وإنّها لمهزلة أن يكرّم رجل أشاد بنظام قمعي من طرف زعيم الحركة التي قمعت وعذّب أبناؤها ونكّل بهم أشدّ تنكيل. وكأنّها إشارة من ساسة البلاد إلى أنّ البلاد على حالها لم تتغيّر، وأنّ النظام البالي بشقيّه البورقيبي والنوفمبري لا زال هو السيّد المستحكم. ومن يهن يسهل الهوان عليه.

جريمة إلغاء نظام الأوقاف بتونس

فريد سعد

نظام الأوقاف هو نظام إسلامي استمد شرعيه من قوله تعالى: {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون}، ولما سمعها أبو طلحة بادر إلى وقف أحب أمواله إليه وهو بستان كبير كثير النخل اسمه (بيرحاء) أخرجه البخاري وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له والصدقة الجارية محمولة على الوقف عند العلماء، و لما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال : « أصاب عمر بخيبر أرضاً فأتى النبي فقال: أصبت أرضاً لم أصب مالاً قط أنفس منه فكيف تأمرني به، قال : إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث، في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه «.

والوقف والتحبيس والتسبيل بمعنى واحد، وهو لغة: الحبس عن التصرف (الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي) وعرفه الفقهاء انه حبس العين و تصدق بالثمرة أو حبس الأصل وتسبيل الثمرة

وكان أول وقف في الاسلام هو مسجد قباء الذي أسسه النبي صلى الله عليه وسلم حين قدومه إلى المدينة مهاجراً. ثم المسجد النبوي الذي بناه صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد أن استقر به المقام. وأول وقف خيري في الإسلام هو وقف سبع بساتين بالمدينة، كانت لرجل يهودي اسمه مخيريق، أوصى بها إلى النبي حين عزم على القتال مع المسلمين في غزوة أحد، قال في وصيته: «إن أصبت ـ أي قتلت، فأموالي لمحمد ـ يضعها حيث أراه الله، فقتل، وحاز النبي تلك البساتين السبعة، فتصدق بها، أي حبسها.

ونظام «الوقف» مكّن المسلمين من المشاركة في بناء مجتمعاتهم وإعمار الأرض، وقد اقتبسها الغربيون ونقلوها عن الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر وأطلق عليها الغربيون لاحقا اسم» المجتمع المدني» والتي -ومن المفارقة - استوردنا مصطلحها منهم في القرن العشرين بعد أن همشنا دور الأوقاف ومحوناه من عندنا. ومن المسلم به أن نظام الوقف الإسلامي ظل يمثل على مدى ثلاثة عشر قرناً صورة من أروع صور التعاون الإنساني وينبوعاً فياضاً من ينابيع الخير، فبالأوقاف نشأت المساجد ومعاهد التعليم والمكتبات العامة، وتأسست المشافي للعلاج المجاني وشيدت القلاع والحصون لتوفير الأمن، وأقيمت «التكايا» ومنازل إقامة عابري السبيل، ووزعت الصدقات على الفقراء والأيتام وزوّد المجاهدين بالسلاح وجهّز حجاج بيت الله.

وقد عرف نظام الأوقاف تطورا مستمرا عبر العصور فبعد أن كانت الأوقاف تدار من أصحابها وأمام تطور الحياة الاجتماعية أصبح وجود أجهزه للإشراف على الأوقاف أمرا ضروريا، فاشرف القضاة على وضع سجلات تسجل فيه حقوق المستحقين للوقف وشيئا فشيئا تكونت هياكل تنظيمية للوقف وإدارته بعد ازدياد عمليات الوقف واتساعه خلال العهد العثماني، وأدى هذا الاتساع في الوقف وتنوع مجالاته إلى تدخل الدولة في الإشراف على الأوقاف في كامل الأقاليم ومنها تونس حيث أحيلت إدارة الأوقاف ابتداء من سنة 1858 للبلدية ثم في سنة 1874 تكونت جمعية الأوقاف لها نظامها وإدارتها الخاصة (كتاب فصول في تاريخ الأوقاف في تونس للدكتور الشيباني بنبلغيث)، وكان إسناد إدارة الأوقاف إلى البلدية بداية تدخل السلطة السياسية في شؤون وأملاك الأوقاف والتصرف فيها بكلّ حرية دون أي رادع ديني أو أخلاقي حتى آلت حال الأوقاف إلى التدهور والجمود والإهمال، وتعرضت ممتلكاتها بسبب ذلك، إلى الانهيار والخراب، فقلت عائداتها وتضاءلت منافعها ورغم محاولات الإصلاح إلا أنها لم تؤت الثمار المرجوة خصوصا بعد دخول البلاد الإسلامية مرحلة الاستعمار الأوروبي وخصوصا الفرنسي الذي أدرك أن أهم المؤسسات التي تدعم الطبقـــة المتعلمة الواعية في وقوفها في وجه سياسة الاستعمار وخططه هي المؤسسات التي تعتمد على الوقف كالمساجد والمدارس والزوايا. لهذا عمد المستعمر إلى التدخل المباشر في شؤون الوقف ومؤسساته، تحت ستار إصلاح إدارتها وتحديث أنظمتها، وكان هدفه الحقيقي هو الحد من الدور الإيجابي للوقف ومؤسساته، خاصة في دفع حركة مقاومة المستعمر. وبانتهاء عهد الاستعمار، دخلت البلاد الإسلامية عهداً جديداً من التطور السياسي والاجتماعي تمثل في نشوء نظام الدولة الوطنية الحديثة على النمط الغربي.وكانت تركيا أول دولة إسلامية تقوم بإلغاء النظام القديم للأوقاف ووضع ممتلكاته تحت الإدارة الحكومية الرسمية، وذلك عقب تعطيل نظام الخلافة الإسلامية مباشرة، أي في العشرينيات من هذا القرن. (موسوعة ويكيبيديا)

أمّا في تونس اتخذ قرار إلغاء نظام الأحباس من طرف مصطفى الفيلالي أول وزير للفلاحة في عهد المقبور بورقيبة وقد طلب الفيلالي في لقاء تلفزي المعذرة من الله ومن الشعب حسب تعبيره على ما اقترفت يداه من جرم في حق الله وحقّ هذا الشعب الكريم بإلغائه نظام الأوقاف ولتقريب صورة الأوقاف التي كانت في تونس أورد الدكتور الشيباني بنبلغيث في كتابه فصول في تاريخ الأوقاف في تونس في باب الجهات الموقوف عليها في الأوقاف العامة ما يلي:

أحباس الفقراء: مثل أحباس عزيزة عثمانة (حفيدة عثمان داي واشتهرت عن طريق أملاكها العديدة المحبسة على طريق البر في مناطق مختلفة من البلاد) التي عيّنت مبلغا من المال لشراء الخبز وتوزيعه على القراء في رمضان، وخصّصت فاطمة عثمانة (حفيدة عزيزة عثمانة) مثل ذلك ومقدارا من المال لشراء الزلابية للفقراء أيّام المواسم والأعياد من كلّ عام.

- الختان: وجدت أحباس تصرف مبالغ سنوية لختان الصبية الفقراء وكسوتهم وأجرة الخاتن، من ذلك أنّ عزيزة عثمانة خصصت من أحباسها مالا لختان 20 طفلا سنويا في عاشوراء وخصص علي باي بن حسين حبسا لختان 100 طفل سنويا وأجرة الخاتن كسوتهم المكونة من شاشية وقميص وصديّة وحذاء، وتوجد أحباس لختان الداخلين في الأسلام تقديم الكساء الأسلامي لهم.

- تزويج البنات الأبكار: توجد أوقاف خاصة بتجهيز البنات الأبكار الفقيرات واليتيمات وتزويجهنّ، وكثرت الأحباس من هذا النوع حتى عيّن لها وكيل الخاص

- فطور الصائمين: .... من ذلك تحبيسهم على فطور الصائمين من التمور والخبز وغيره

- التكية: وهي مأوى العجز في ديار المسلمين أين يقع الاعتناء بهم في الأكل واللباس والصحة

إسم المدرسة	عدد الغرف	النهج الذي تقع فيه
-12 المدرسة الأندلسيّة	9	نهج الرّكاح
-13 المدرسة العنقيّة	13	نهج عنق الجمل
-14 المدرسة الجاسوسيّة	7	نهج باش حانبة
-15 مدرسة القائد مراد	8	نهج عاشور
-16 المدرسة الباشيّة	13	نهج القشّاشين
-17 المدرسة السّليمانيّة	24	نهج السّليمانيّة
-18 مدرسة حوانيت عاشور	30	نهج عاشور
-19 مدرسة صاحب الطابع	39	نهج سيدي العلوي
-20 المدرسة اليوسفيّة	19	نهج ابن زياد
-21 مدرسة الجامع الجديد	20	غرفة نهج الصبّاغين
-22 المدرسة الحكيميّة		زنقة الميضة، نهج العطّارين(أصبحت مكتبة للخلدونيّة)

مدارس التعليم والسكن القديمة بالعاصمة:

إسم المدرسة	عدد الغرف	النهج الذي تقع فيه
-1 المدرسة الحسينيّة الكبرى	42	نهج سيدي الصّوردي
-2 مدرسة النّخلة	15	نهج الكنيسة
-3 المدرسة المرادية	25	نهج سوق القماش
-4 المدرسة بئر لحجار	25	نهج الباشا
-5 المدرسة التوفيقيّة	42	نهج جامع الهواء
-6 المدرسة المنتصريّة	25	نهج الوصفان
-7 المدرسة المرجانيّة	11	نهج المرجانيّة، زنقة بكّار
-8 المدرسة المتيشيّة	12	نهج بوصندل
-9 المدرسة الحسينيّة الصغرى	10	نهج سيدي الصّوردي

- السقايات أو السبابل: عالج الناس مشاكل الماء والسقاية بتحابيس على نقاط الماء كالآبار والعيون وملء الفسقيّات وتسمى السبل وهي كثيرة في البلاد التونسية

- المارستانات: وجدت أحباس كثيرة مخصصة للتطبيب، تقوم بلوازم التطبيب من طبيب وعلاج وطعام وكساء وفراش، ووجدت لهذه المارستانات تراتيب منظمة للعلاج والنظافة والختان مجانا، وقد عرف المارستان في تونس العاصمة منذ أواخر القرن التاسع عشر بالمستشفى الصادقي الذي أصبح يعرف في القرن العشرين بعزيزة عثمانة، ووجدت مارستانات مماثلة في كل من تونس وصفاقس.

- أكفان الموتى: وجدت أحباس خاصة بكفن ودفن الغرباء في صفاقس

- التعليم: حبس الناس علي التعليم معلما ومتعلما ومكان التعليم في مختلف المستويات ابتداء من الكتاب وبناء المدارس التي انتشرت، في كامل البلاد وأوقفوا عليها أوقافا عديدة توفر الطعام لساكنيها والرواتب.

-10 المدرسة الشماعيّة 29 نهج النحال زنقة الشّماعيّة

-11 المدرسة المغربيّة 12 نهج تربة الباي

أمثلة من أوقاف بعض المدارس

المدرسة المرادية: لها من الاوقاف: 34 حانوت - دار - علو - 6 غرف - مواقع زيتون.

المدرسة العنقية: 14 حانوت - قهوة - 4 مواضع زيتون.

مدرسة القائد مراد: 4 حوانيت - قهوة - داموس - زيتون - أرض.

المدرسة المنتصرية: اوقافها المستغلة: 5 مخازن 7-حوانيت - داران وربع هنشير - طاحونة - موضوع الزيتون.

أوقاف مدرسة بئر الأحجار: وكالة وعلو وحانوتان ومخزنان وغرفة - مغسلة - 3 أراضي 7- هناشير- 6 مواضع زيتون

- السجناء: حبس بعض الناس على سجناء القصبة لتصرف على طعامهم خاصة في رمضان إلا انه لا يوجد أحباس على البناء

- الزوايا: انتشرت زوايا الأولياء في مختلف جهات البلاد وكثرت بالتالي الأوقاف عليها، فهي مأوى المسافرين فضلا عن التعليم والإطعام لذوي الحاجة وملجأ ضعيف والملهوف...

- الشعائر: اهتم المحبّسون ببيوت اللّه فحبسوا علي إصلاحها وتحصيرها واستصباحها وعلى القائمين عليها من أئمة ومؤذنين ومنظفين

- الدفاع: هناك أحباس خصصت للدفاع عن البلاد كأحباس الأسوار الأبراج ووجدت أحباس المجاهدين في صفاقس وأحباس لتحصين المدن مثل تونس والكاف وصفاقس القيروان بنزرت وسوسة والمنستير

- أحباس الحرمين والحجيج: هناك أحباس خاصة بالحرمين الشريفين في مكة والمدينة، وتجمع وأموالها وترسل إلى مستحقيها في مكة والمدينة كل سنة في موسم الحج وتدعي بالصرّة.

- أحباس مختلفة: وهي أحباس صغيرة الحجم ومحلية ولكنّها ذات بعد حضاري وإنساني عميق تهتم بنواحي عديدة من شؤون الحياة وتشمل الاعتناء بالحيوانات الأليفة مثل القطط والحمام والحيوانات الهرمة التي عجزت عن الرعي بنفسها وتدعي أحباس البكمة، وتشمل هذه الأحباس الجماد أيضا أي الجماد الذي تنجر عن مصلحه عامه من ذلك ما سمّي في تونس بحبس الرّمّان، والمقصود بها آلة الوزن فقد حبس حمودة باشا الضريبة المتأتية من آلة الوزن بمدينه القيروان على فاسقيّة أبيه وجده بالمدينة

ومن بين الأحباس المحلية التي وجدت ما يلي:

- حبس السكين: فهناك امرأة حبست أموالا لكراء آلة شحذ السكاكين يوم عرفه لذبح الأضحية دون مقابل.

- حبس الكوز: وهو أنّ من كسر وعاء الزيت لصاحبه يدفع عنه الحبس ثمن الكوز وما فيه.

- حبس الزيت للإضاءة: هناك من حبّس الزيت على إضاءة الميضاة في المساجد.

- حبس البركوس: وهو حبس لشراء الخرفان وتوزيعها علي غير القادرين في عيد الأضحى.

- حبس البرنوس: هناك من حبس برنوسا لمن يؤذن للالتحاف به عند طلوع الصومعة توقيا من البرد.

وقد ذكر محمد بيرم التونسي في جريدة الأعلام التي أصدرها بالقاهرة عجائب الأوقاف بقوله: لم يترك أهل البر من المتقدمين سبيلا لعمل الخير إلا جدّوا إليه سراعا واقبلوا عليه إتباعا وتنافسوا فيه تنافس حذّاق الصُنّاع في معارض الاختراع حتى انه ليستولي العجب على من يطلع على سجلات الأوقاف إذ يرى كيف ارصد الواقفون أموالهم لوجوه البرّ المختلفة ومصاريف الخير المتنوعة:

- وقف الحدأة: يصرف إيراده في تعويض ما تخطفه الحدأة من المأكولات المحمولة على رؤوس الناس في الطرق ولاسيما الخدم والأطفال الذين يطالبون بما فقد منهم.

- وقف الهرّة: يصرف ريعه في شراء أغذية القطط من الكروش والأحشاء.

من خلال هذا العرض البسيط لنظام الأوقاف الذي كان مطبقا في بلادنا يتبين لنا عظم الجرم الذي ارتكبه المقبور بورقيبة بإلغائه لهذا النظام فحتى القطط ستحاسبه على حقها المسلوب، ويتبين لنا من خلال هذه الدراسة البعد الحضاري والأنساني لمنظومة الأسلام وإن كان نظام الأوقاف لا يمثل فيها إلا غيض من فيض، وكيف استطاع الأسلام أن يبني مجتمعا متكافلا في ما بينه بدعوى تقوى الله فبالرغم من أن الدولة الأسلامية ترعي شؤون الناس على أعلى مستوى من خلال نظرتها للمجتمع والاقتصاد، بالرغم من ذلك كله يتنافس الناس فيما بينهم في أعمال الخير والبر وبناء المجتمع محققين بذلك رابطة الأخوة في الأسلام، و لن يعود للمسلمين عزّهم الذي أهدرته دولة الحداثة المزعومة إلا إذا شمروا عن سواعد الجد من أجل إعادة بناء دولتهم دولة الرعاية والكفاية، الخلافة الثانية على منهاج النبوة التي بشرنا بها نبيّنا صلى الله عليه وسلم، والتي قرب زمانها فيا فوز العاملين (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا).

في تونس ..
البقاء على قيد الحياة
"حق" لمن يقدر على الدفع

محمد زروق

الخبر:

الكاتب العام لنقابة أطباء القطاع الخاص سمير شطورو: انتقى التعامل بمنظومة طبيب العائلة و"الكنام" هو من يتحمّل المسؤولية.

التعليق:

لم يشفى المريض في تونس من صدمة تعليق التعامل بين نقابة الصيادلة والصندوق الوطني للتأمين على المرض قبل عودتها من جديد بعد سلسلة من المفاوضات، حتى تلقّى "صدمة" جديدة سيدفع ثمنها غاليا- مثل كل مرة - وأي تعليق الاتفاق بين نقابة أطباء القطاع الخاص والكنام، من جهته حمّل سمير شطورو كامل المسؤولية إلى الصندوق الوطني للتامين على المرض الذي قال انه لم يقم بأي خطوة ايجابية في اتجاه التوصل إلى حلّ.

إذن كان الإعلان عن انتهاء العمل بمنظومة طبيب العائلة منذ دخول شهر جويلية الجاري وبالتالي سيسدّد المريض التعريفة كاملة عند التوجه لاي طبيب متعاقد مع الكنام، وفي كل مرة نجد المواطن والضحية الأولى الذي يدفع الفاتورة باظة عند كل خلاف بين نقابة أطباء القطاع الخاص والكنام.

يفتخر الكثيرون بإقرار دستور الدولة التونسية بأحقية كل مواطن في الصحة بما في ذلك الوقاية، فالرعاية والعلاج يكون مجانيا لذوي الدخل المحدود وفاقدي السند وأنّ الدولة تسعى إلى تقديم هذه الخدمة بجودة محترمة تراعي ظروف المواطنين واحتياجاتهم لكن كلّ ذلك بقي حبرا على ورق.

فبعد أن شهدت المنظومة الصحية العمومية تدهورا كبيرا في ظل توغل الفساد وانتشاره وسط شبكات مافيا طبية تسيطر على مفاصل وزارة الصحة, ها هي وزارة الشؤون الاجتماعية اليوم تشهد "سقوطا حرا" على غرار بقية المؤسسات العمومية الأخرى التي بُني عليها المشروع التحديثي لدولة الاستقلال المزعوم وتتعمق الأزمة بالإفلاس المعلن لصناديق الضمان الاجتماعي، حيث باتت - بسبب الفساد وسوء التصرّف وغياب الرقابة الصحيحة - عبئا على "المالية العمومية" عبر عجزها المزمن عن تسديد التعويضات للأجراء الذي يذهبون للتداوي في القطاع الطبي الخاص.

وهذا في حقيقة الأمر مؤشر صريح على انسحاب الدولة من التكفّل بالمسألة الصحية وتحويل المؤسسة الصحية إلى سوق قائمة على العرض والطلب، حيث صار الحق في المعالجة والتطبّب لمن يقدر على الدفع، إذ يتمدّد القطاع الطبّي الإستثماري الخاص بجشع لا يراعي "الحق في الصحة" للفئات الهشة والفقيرة التي تكون في الغالب مجبرة على اللجوء إلى قطاع صحي عمومي رث، أمّا الفئات متوسطة الحال الذين يتمتّعون بالتغطية الصحية ويتكفّل الصندوق بجزء من مصاريف علاجهم والخدمات الصحية التي يحصلون عليها في القطاعين الخاص والحكومي، فمع إعلان أطباء القطاع الخاص إنهاء علاقاتهم مع صندوق الضمان الصحي فإنّها – أي الفئات متوسطة الحال - ستلتحق آجلا أو عاجلا بهاته الفئات الهشة والفقيرة عندما يضطرون إلى سداد كامل تكاليف العلاج إلى حين انتهاء الأزمة بين الأطباء وصندوق التأمين على المرض في زمن قد يأتي وقد لا يأتي..

إنّ الفشل في حلّ مشاكل النّاس من طرف حكومة الفخفاخ وسابقاتها كان على جميع الأصعدة وليس مجال الصحة أوّل علامات الفشل ولا آخره، فالبلاد تزرح تحت وطأة أزمات إقتصادية ومالية خانقة تلامس أحيانا حدود الإنهيار، فغلاء المعيشة وتدهور القدرة الشرائية للنّاس وتفاقم العجز التجاري وأزمات الحكم المتعاقبة، كلّ ذلك غيض من فيض المآسي التي تعيشها بلادنا, وهذا ليس مردّه إلى ضعف الإمكانيات كما يصوّرون في خطاباتهم وتصريحاتهم شبه اليومية المليئة بالمغالطات، وإنّما سببه النظام الرأسمالي العلماني الجاثم على صدورنا، وحقيقة ارتهان العاملين بأحكامه لدى دوائر الاستعمار وخضوعهم لأوامره ونواهيه, وعلى رأسهم شروط صندوق النقد الدولي التي لاقت كل ترحيب من حكومات الخزي المتعاقبة, فالنظام فهو أسّ الدّاء ومبعث الشقاء ومفرّخ الفساد والمفسدين، فهو بالإضافة لكونه مخالفا لشرع اللّه الحنيف فإنّه وحده كفيل لإثارة غضب اللّه علينا لقوله تعالى: "ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى".

عن جريدة الراية:

بقلم: الأستاذة فاطمة مصعب

استمرار الاستغلال الاستعماري في أفريقيا

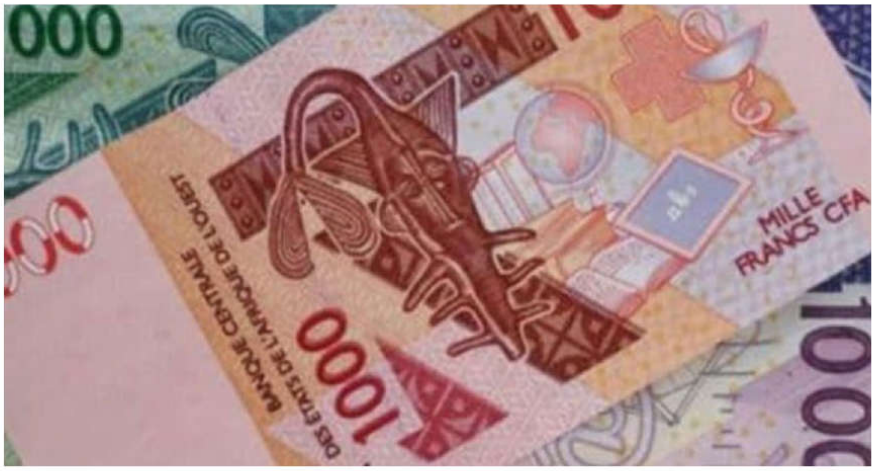

(مترجم)

في عام 2019، قال لويجي دي مايو، نائب رئيس الوزراء الإيطالي السابق ووزير الخارجية الحالي إن «فرنسا هي واحدة من تلك الدول التي من خلال طباعة النقود لـ14 دولة أفريقية تمنع تنميتها الاقتصادية وتساهم في حقيقة أن اللاجئين يغادرون ثم يموتون في البحر أو يصلون إلى سواحلنا». وكان هذا الانتقاد الشديد موجهاً إلى الفرنك الأفريقي.

لقد تأسس الفرنك الأفريقي في عام 1945م، وهو اسم لعملتين، هما فرنك غرب أفريقيا، المستخدم في ثماني دول في غرب أفريقيا، وفرنك وسط أفريقيا، المستخدم في ست دول في وسط أفريقيا. كلتا العملتين مضمونتان من وزارة الخزانة الفرنسية. ونتيجة لذلك، كان البنك المركزي الفرنسي يحتفظ بالاحتياطي الوطني لـ14 دولة أفريقية ويُجبرها على المساهمة «بـ500 مليار دولار سنوياً» في الخزانة الفرنسية كدفعة مقابل «ديونها الاستعمارية». وقد اضطرت هذه الدول من خلال ميثاق استعماري لاستخدام «أموال فرنسا الاستعمارية» ووضع 85٪ من احتياطياتها الأجنبية تحت سيطرة وزير المالية الفرنسي.

وفي كانون الأول/ديسمبر 2019، أعلنت فرنسا أن دول غرب أفريقيا الثمان التابعة للاتحاد الاقتصادي والنقدي لغرب أفريقيا ستعيد تسمية فرنكها الأفريقي ليصبح «إيكو». وقد تم وضع هذا على أنه إصلاح رئيسي للعملة، والذي من شأنه أن يحد من السيطرة التي كانت لفرنسا على أفريقيا، حيث لم تعد تحتفظ بنصف احتياطياتها الأجنبية في فرنسا، فإن الوضع أبعد ما يكون عن البساطة، كما أنه لا يحرر المنطقة من السيطرة الفرنسية.

وبحسب صحيفة وول ستريت جورنال فإن هذه الخطوة أظهرت أن فرنسا «خضعت للضغوط الشعبية في غرب أفريقيا بموافقتها على إلغاء اسم الفرنك الأفريقي وتخفيف إشرافها على اتحاد العملة في الوقت الذي تسعى فيه باريس إلى إعادة تشكيل العلاقات مع مستعمراتها الأفريقية السابقة». ومع ذلك، «لا تزال فرنسا تتمتع بقوة كبيرة في المنطقة من خلال العملة ومن خلال وجودها العسكري الواسع هناك».

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن دول وسط أفريقيا الست لا تزال ملتزمة بالمعاهدة وشروطها.

الفرنك الأفريقي:

تسمح فرنسا لدول الفرنك الأفريقي بالوصول إلى 15٪ فقط من المال في أي سنة معينة، وإذا احتاجوا إلى أكثر من ذلك، فعليهم أن يقترضوا الأموال الإضافية من الـ65٪ من أموالهم من الخزانة الفرنسية بأسعار تجارية. وتفرض فرنسا حدا أقصى على حجم الأموال التي يمكن لتلك الدول اقتراضها من الاحتياطي. وتم تحديد الحد الأقصى بـ20٪ من إيراداتها العامة في العام السابق. وإذا كانت بحاجة إلى اقتراض أكثر من 20٪ من أموالها الخاصة، فإن فرنسا تتمتع بحق النقض.

إن هذا يعني أن 14 دولة أفريقية ليس لديها سياسة نقدية مستقلة، ولا يحق لها تحديد تفاصيل كمية العملة التي يجب ضخها في اقتصادها أو إعادة تقييم عملتها متى شاءت، بل يتم التحكم في جميع القرارات المتعلقة بالسياسة النقدية من باريس. كما أن هذه الدول ملزمة بإيداع 65٪ من احتياطياتها الأجنبية في البنك المركزي الفرنسي. وفوق ذلك، لا يمكنها الوصول إلى هذه الأموال بإرادتها. في الواقع، إذا كانت بحاجة إلى أكثر من 20٪ من هذه الـ 65٪، فإنها تأخذه كقرض من فرنسا بسعر السوق السائد.

الإيكو:

لا تزال فرنسا ضامنة للإيكو وهي عملة مرتبطة باليورو. ووفقا لصحيفة وول ستريت جورنال، لم يتم بعد الانتهاء من التفاصيل ولكن من الواضح أن الدول سوف تبقى تتبادل المعلومات اليومية مع باريس. كما يمكن لفرنسا أن ترشح عضواً مستقلاً في لجنة السياسة النقدية على الرغم من أن المرشح لن يمثل فرنسا ولن يكون له دور إبلاغي. وإذا انخفضت احتياطيات الدول إلى ما دون مستوى معين، فإن فرنسا يمكن أن تطلب إعادة ممثلها إلى منصبه مع التأكيد على أن تبادل المعلومات اليومية مع باريس سيستمر في لجنة إيكو للسياسة النقدية.

لن تضطر الدول الثمان إلى وضع نصف احتياطياتها في الخزانة الفرنسية. ومع ذلك، من الواضح من الشروط الأخرى أن فرنسا لم تتخل عن سيطرتها على المنطقة.

المسألة هي أن فرنسا حافظت على سيطرتها على مستعمراتها، حتى بمجرد مغادرتها.

كانت العملة جزءاً من الميثاق الاستعماري، الذي دعا الفرنسيون المستعمرات الأفريقية إلى توقيعه عندما طالبت بالاستقلال. وتدعي فرنسا أن أفريقيا مدينة لها بـ«دين استعماري» لما جلبه استعمارهم من فوائد! ويظهر هذا من خلال حقيقة أنه عندما قررت غينيا اختيار الاستقلال عن الإمبراطورية الفرنسية في عام 1958م، سحبت حكومة شارل ديغول أكثر من 4000 من موظفي الخدمة المدنية والقضاة والمعلمين والأطباء والفنيين، وأوعزت إليهم بتخريب كل ما تركوه وراءهم. واستولوا على ممتلكاتهم ودمروا أي شيء لا يمكن نقله، وشمل ذلك المدارس ودور الحضانة ومباني الإدارة العامة والسيارات والكتب وأدوات معهد الطب والبحوث. وقد تم ذلك بهدف الإظهار للمستعمرات مدى ارتفاع عواقب السعي إلى الاستقلال.

هناك تقارير تفيد بأنّه إذا رفض حكام الدول دفع ضريبة الاستعمار فإنه يتم اغتيالهم عن طريق الفيلق الأجنبي الفرنسي. ووفقا للتقارير، فإنه خلال السنوات الـ50 الماضية، حدث ما مجموعه 67 انقلابا في 26 بلدا في أفريقيا، 16 من تلك البلدان هي مستعمرات فرنسية سابقة، ما يعني أن 61٪ من الانقلابات وقعت في أفريقيا الفرنكوفونية.

ويقال بأنه من أجل الحفاظ على الفرنك الأفريقي فإن فرنسا لم تتردد قط في التخلي عن رؤساء الدول الذين يميلون إلى الانسحاب من النظام. وقد أُقيل معظمهم من مناصبهم أو قُتلوا لصالح قادة أكثر امتثالاً يتشبثون بالسلطة، كما هو واضح في دول المجموعة الاقتصادية لدول وسط أفريقيا وتوغو.

كما أن لديها ما يسمى «اتفاقات الدفاع» المرتبطة بالميثاق الاستعماري، التي كان لفرنسا فيها الحق القانوني في التدخل عسكريا في البلدان الأفريقية، وكذلك في نشر القوات بشكل دائم في قواعد ومرافق عسكرية في تلك البلدان، يديرها الفرنسيون بالكامل. وهناك التزام بإرسال تقرير سنوي عن الرصيد والاحتياطي إلى فرنسا، وبدون التقرير، لا يوجد مال. وبصرف النظر عن ذلك، فإن لفرنسا الحق الأول في الموارد الطبيعية الموجودة في أرض مستعمراتها السابقة. ولا يسمح للدول الأفريقية بالبحث عن شركاء آخرين إلا إذا لم تكن فرنسا مهتمة بالموارد.

بالنظر إلى الأدلة، من الواضح أن هذا الميثاق الاستعماري كان لصالح الفرنسيين وليس لصالح الأفارقة.

في آذار/مارس 2008، قال الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك: «بدون أفريقيا، ستنزلق فرنسا إلى مرتبة العالم الثالث». لقد وُلدت العملة من «حاجة فرنسا إلى تعزيز التكامل الاقتصادي بين المستعمرات الخاضعة لإدارتها، وبالتالي السيطرة على مواردها وهياكلها الاقتصادية ونظمها السياسية». والدليل على ذلك هو اليأس الذي أظهرته فرنسا عند التعامل مع الدول المستعمرة ومطالبتها بالاستقلال.

وفي حين إن هناك أدلة على أن النخب الأفريقية تستفيد من الخيارات وبالتالي تدعم منطقة الفرنك الأفريقي، فإن الأمم والشعوب فيها ليست كذلك. والواقع أن الدول الـ14 التي وقعت على الميثاق الاستعماري هي من بين البلدان التي لديها «تنمية بشرية منخفضة» وهي ضعيفة اقتصادياً.

وفي حين يتفق مؤيدو منطقة الفرنك الأفريقي على أن العملة توفر قدرا من الاستقرار النقدي، يقول آخرون إنه مقابل الضمانات التي تقدمها الخزانة الفرنسية، فإن البلدان الأفريقية توجه أموالا إلى فرنسا أكثر مما تتلقاه من المعونة. ولكي تتطور الدول اقتصادياً، فإنها تحتاج إلى التخلص من هذه العملة. وفقاً لمقال لبروكنجز، «يشكل الفرنك الأفريقي عائقاً أمام التصنيع والتحول الهيكلي، ولا يعمل على تحفيز التكامل التجاري بين الدول التي تستخدمه، ولا لتعزيز الإقراض المصرفي لاقتصاداتها». كما يشجع على تدفقات هائلة من رؤوس الأموال إلى الخارج.

لقد انتهت القوة الاستعمارية، ولم يحدث ذلك، ولن يأتي التغيير دون تغيير النظام الغربي بأكمله.

تقول الدول الغربية إن الحقبة الاستعمارية قد انتهت، واستغلال المستعمرات هو شيء من الماضي. ولكن هذا المثال يبين أن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، ففرنسا قد لا تكون إمبراطورية رسمية بعد الآن، ولكنها حافظت على السيطرة على الدول وضمان أن تستفيد على حساب الشعوب الأفريقية.

إن تغيير القوانين، وإزالة الحكام، وإنشاء المحاكم الإسلامية في البلدان الديمقراطية لن يغير الوضع لأن النظام الرأسمالي سيبقى قائماً، مما يسمح للدول القوية ونخبها بالتلاعب بالأنظمة السياسية والاقتصادية والقانونية لصالحها.

ولتغيير الأوضاع فإننا بحاجة إلى تغيير النظام، وهذا يعني إزالة المبدأ الرأسمالي من موقع الحكم واستبدال مبدأ الإسلام به.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

بسام فرحات (أبو ذرّ التونسي)

مذبحة سربرينيتشا

عيّنة دمويّة لكيفيّة تعاطي الأمم المتحدة مع قضايا المسلمين

ممّا لا شكّ فيه أنّ الأسرة الدولية أو الجماعة الدّولية بما انبثق عنها من قانون دولي وبما تمخّض عنها من منظّمات أمميّة وإقليميّة، إنّما أنشئت ابتداءً للمّ شمل أوروبّا النّصرانية وإيقاف الزّحف العثماني الذي أضحى يهدّد قلب القارّة العجوز (أسوار فيينّا) بما ينذر بفناء العالم المسيحي.. ومع تحقّق هذا الهدف بامتياز بسقوط الدّولة العثمانية سنة 1924، وقع توظيف ذلك النادي الأوروبي النصراني لإخضاع أيتام الدّولة الإسلاميّة وتمزيقهم ومسخهم ومحاربة عقيدتهم واستنزاف مقدّراتهم والحيلولة دون اتّحادهم مجدّدًا في كيان سياسي قائم على أساس الإسلام.. فكلّما تعلّق الأمر بقضايا المسلمين فإنّ الأسرة الدوليّة ـ دولاً ومنظّمات وقوانين ـ تنحاز غريزيًّا للطرف المقابل بصرف النّظر عن الحقّ والصّواب وسواءً أكان هذا الطّرف أوروبيًّا نصرانيًّا أم ما دونه من سائر الملل والنّحل، المهم ألاّ يكون القرار في صالح الإسلام والمسلمين ـ كيانات وشعوبًا وأقليّات ـ لم يشذّ عن ذلك قرار أممي واحد منذ تأسيس عصبة الأمم سنة 1919م..

أمّا عسكريًّا فإنّ المنتظم الأمميّ أثناء إدارته وفضّه للنّزاعات يقوم بدور (المعدّل للتّوازن) بعقليّة (حزّة باجيّة): فإن كانت كفّة الصّراع ميدانيًّا راجحة لصالح الطّرف الإسلامي يتدخّل بكامل قوّته لفرض (الشرعيّة الدّولية) ووقف إطلاق النّار، وحظر الأسلحة والحصار الاقتصادي والمفاوضات والحلول السلميّة حتى يستعيد الطّرف المقابل أنفاسه وتنقلب الأوضاع لصالحه..أمّا إذا كانت الدّوائر دائرة على المسلمين فإنّ يده الطّولى تصاب بالشّلل وعينه الثّاقبة تصاب بالعمى ولسانه السّليط يصاب بالخرس، فيكتفي بالدّعوات الخجولة لضبط النّفس ويُسخّر نفسه لتهجير المسلمين من مناطق النّزاع بتعلّة غوثهم و إيوائهم وحمايتهم حتّى يخلو المكان للطرف الآخر كما حصل في فلسطين ،ثمّ ينتصب شاهد زور يزيّف الحقائق ويطمس معالم الجرائم ـ وقد يشارك فيها عمليًّا ـ بما يُنصف الجلاّد على الضحيّة ويشرعن له ما اغتصبه بالحديد والنار والمذابح المروّعة، ودونك ما حصل في البوسنة في تسعينات القرن المنصرم ونحن على أطلال الذكرى (25) لمذبحة سربرينيتشا الرهيبة..

صليبيّة القرن العشرين

بهذه الخلفية العقائديّة السياسية الصليبية وُجدت الأعمال الدوليّة الجماعيّة، وعلى هذا الأساس تدخّلت الأمم المتّحدة والعالم الحرّ في الصراع الدّائر في البلقان بعد تفكّك يوغوسلافيا السابقة مطلع تسعينات القرن المنصرم :فالإطار السياسي برمّته بعيد عن منطق حلّ المشاكل وليس ـ ابتداءً ـ مظنّة الحق والعدل والإنصاف والحماية لمسلمي البلقان..

لقد اندلعت الحرب في البوسنة والهرسك في 17 أفريل 1992 وتواصلت إلى أواخر سنة 1995 بعد توقيع اتفاقيّة (دايتون) للسلام مسفرة عن إبادة أكثر من 350 ألف مسلم وتشريد الملايين واغتصاب آلاف الحرائر وتدمير كافّة المساجد الإسلاميّة والمعالم التاريخيّة العثمانيّة..وقد خيضت هذه الحرب ـ أهدافًا وأساليب ـ بروح صليبيّة مقيتة تؤجّجها حالة متقدّمة من الإسلاموفوبيا والكراهية الدينيّة العمياء: فعلى المستوى الشعبي اعتبرت الحرب (ثأرًا من الغزاة الأتراك واستردادًا لأرض الأجداد)، وعلى مستوى الكنيسة الأرثدوكسية اعتُبرت حربًا مقدّسة ضدّ الإسلام بوصفه (دينًا غازيًا غريبًا أجنبيًّا وافدًا لا ينتمي لا إلى البلقان ولا إلى أوروبا)، أمّا دوليًّا فقد اعتُبرت الحرب (حائلاً دون قيام دولة إسلاميّة في قلب أوروبا): ذكر الرّئيس الأمريكي الأسبق (بيل كلينتون) في مذكّراته أنّ الحلفاء الأوروبيّين يعتبرون الدّولة البوسنيّة المستقلّة (غير طبيعيّة ولا مقبولة باعتبارها دولة لشعب مسلم في قلب أوروبّا)، وأضاف أنّ البريطانيّين يتحدّثون عن (واقعيّة إقامة دولة مسيحيّة أوروبيّة من جديد في البوسنة رغم الألم المصاحب لذلك)..فلا غرابة إذن أن استجابت اتّفاقيّة (دايتون) لهذه الأضغان الصّليبيّة وكرّستها على أرض الواقع..

النّموذج الأندلسي

ولتحقيق هذا الهدف الصّليبي الوضيع من الطّبيعي أن تكون الوسائل والأساليب المعتمدة من جنسه ـ جبْنًا وخسّة وإجرامًا ـ وعلى كثرة النّماذج في تاريخه الحافل بالمذابح والمجازر، فإنّ الكافر المستعمر تخيّر أشدّها نجاعة مع الإسلام والمسلمين ألا وهو النّموذج الأندلسي هذا الذي أثمر طمس أعظم حضارة عرفتها أوروبا في العصور الوسطى ومحو ثمانية قرون من الوجود الإسلامي فيها حتّى وكأنّه لم يكن..أمّا آليّاته فتتمثّل في القضاء على البنية التحتيّة البشريّة والثّقافيّة للكيان الإسلامي عبر المذابح الجماعيّة والقتل بالجملة على الهويّة وهدم البنى التحتيّة والمعالم والهرسلة والترويع المتواصل ثمّ التهجير الجماعي القسري بما يُفضي عمليًّا إلى تغيير الواقع العرقي والإثني والدّيموغرافي والحضاري للمنطقة..

ولقد انطلق الكافر المستعمر في تنفيذ هذا النّموذج الإجرامي في البلقان المسلمة منذ أواسط القرن (19م) مع بوادر ضعف الرّجل المريض وانحلاله وتفكّكه، إذ أشعلت كلّ من بريطانيا وروسيا حروبًا طاحنة مدمّرة ضدّ الدّولة العثمانيّة وأثارت ضدّها شعوب البلقان ودعمتهم بالعتاد والسّلاح لطرد (المستعمر التركي)، وانطلق هذا السّيناريو الدّموي مع اليونان ثمّ توسّع ليشمل (رومانيا ـ ألبانيا ـ الجبل الأسود ـ بلغاريا ـ النمسا ـ المجرّ ـ صربيا ـ كرواتيا)..وما إن ينحسر النّفوذ العثماني عن مقاطعة حتّى تتحرّك ماكنة (الحلاقة) لتأتي على أخضر الإسلام والثّقافة الإسلاميّة ويابسها بالطّمس والمحو والإلغاء، ناهيك وأنّ اليونان تحتفل سنويًّا بذكرى هدم آخر مسجد في البلاد كما أنّها أنشأت لجنة أكاديميّة لتنقية المعجم اليوناني من شوائب الألفاظ التركيّة والإسلاميّة.. أمّا من نجا من المسلمين من المذابح والمجازر فكان مصيرهم الطّرد والتهجير نحو تركيا أو الشرق الأوسط.. وهكذا مع مطلع القرن العشرين انحسر الوجود الإسلامي في البلقان وأصبح مجرّد أقليّات في البوسنة وكوسوفو فيما أوكِل أمر الألبان إلى (الرفيق أنور خوجا) ونظامه الشيوعي الاستئصالي للقضاء على آخر نفس إسلامي فيه..

سربرينيتشا الثّكلى

لقد مثّلت حرب البوسنة القذرة نموذجًا معبّرًا عن كيفيّة حلّ قضايا المسلمين من وجهة نظر المنتظم الأممي والعالم الحرّ: إخراج أضغان اليمين المتطرّف في أوروبا من الوجود بالقوّة إلى الوجود بالفعل وتحويلها إلى حقيقة ميدانيّة نهائيّة مع شرعنتها بالقانون الدولي..

فلم يكتف الصّرب بنصيبهم من التركة اليوغوسلافية وطالبوا بالبوسنة والهرسك رغم أنّهم أقليّة ميكروسكوبيّة فيها، وكذلك فعل الكروات..وإزاء تمسّك المسلمين البوشناق بأرضهم وهويّتهم شنّ الصّرب حملة تطهير عرقي مسعورة كُلّلت بأفظع المجازر الجماعيّة التي عرفتها أوروبا منذ الحرب العالميّة الثانية..

أمّا مسرحها الأكثر دمويّة فهو (مدينة الفضّة) سربرينيتشا وهي مدينة تقع في وادي (دربنا) شمال شرق البوسنة وقد استولى الصّرب على العديد من القرى والبلدات التي تحيط بها منذ بداية الصّراع، فلجأ إليها السكّان الفارّون من البطش الصّربي ما ضاعف من عدد سكّانها من 7 آلاف إلى 37 ألفًا..حُوصرت المدينة سنتي (1993/1995) قبل أن تسقط وعانى لاجئوها الجوع والصّقيع والقصف والاعتداءات المتكرّرة إلى حدود شهر جويلية 1995: ففي الحادي عشر منه حدث المشهد الأكثر دمويّة وسوداويّة في الحرب البوسنيّة، إذ قامت قوّات صرب البوسنة بقيادة (راتكو ملاديتش) بعمليّات تطهير عرقي واسعة وممنهجة ضدّ سكّانها المسلمين تواصلت لعشرة أيّام كاملة، جرى فيها إعدام الذّكور المسلمين من كلّ الأعمار ـ أطفالاً وكهولاً وشيوخًا ـ لتجفيف منابع العرق، كما اغتُصبت النّساء المسلمات بشكل مدروس ومقصود لتغيير النسيج السكّاني للمدينة لصالح الصّرب، وقد أدّى الاغتصاب الجماعي الوحشي المتكرّر بالعديد منهنّ إلى الموت تحت نظر القوّات الأمميّة التي لم تحرّك ساكنًا لنجدتهنّ..

وبالمحصّلة جرى عمليًّا تصفية كلّ الذكور فيما بين 12 إلى 77 سنة ودفنهم في مقابر جماعيّة، وتهجير جميع النّساء بعد اغتصابهنّ إلى المناطق البوشناقيّة، وقد أسفرت هذه المجزرة المروّعة عن ثمانية آلاف و372 شهيدًا مسلمًا منهم ألف جثّة غير مكتملة لم يكتف الجناة بقتل أصحابها بل قطّعوها بريًا وفرّقوا أعضاءها على مقابر جماعيّة عديدة إمعانًا في التمثيل والتّنكيل والتشفّي..

(حاميها حراميها)

نعم، يحدث هذا في قلب أوروبا في القرن العشرين وعلى مرأى ومسمع من الأمم المتّحدة والدّولة الأولى في العالم وبغطاء القانون الدولي للعالم الحرّ..فالمنتظم الأممي الذي من المفترض أن يحمي الشعوب المستضعفة ويضمن لها حقوقها تواطأ عمليًّا مع القتلة الصّرب وشاركهم في الجريمة وأعانهم على اقترافها ثمّ انتصب شاهد زور يطمس المعالم ويزيّف الحقائق وينصف الجلاّد ويزوّد جرائمه بالغطاء القانوني الشرعي: ففي أفريل 1993 وبعد أن استعصت سربرنيتشا عن القوّات الصربيّة أكثر من سنتين أعلنت الأمم المتّحدة المدينة (منطقة آمنة) تحت حماية عناصر الكتيبة الهولنديّة لقوّات حفظ السّلام المتكوّنة من 400 عنصر، وقد طلب قائد هذه الكتيبة (كيرمنس) من المدافعين المسلمين تسليم أسلحتهم مقابل ضمان أمن السكّان فانصاعوا له ولما يمثّله من (أسرة دوليّة)، إلاّ أنّه غدر بهم وأدخل الذّئاب إلى زريبتهم وسلّمهم إلى عدوّهم وتركهم يواجهون الإبادة عُزّلاً ،فلا كتيبته دافعت عنهم ولا تركتهم يدافعون عن أنفسهم :ليلة المذبحة التقى (كيرمنس) بالمجرم (راتكو ملاديتش) في مقرّ الكتيبة ،وعلى نخب كؤوس الخمر عُقِدت صفقة الجريمة (موثّقة بالصّوت والصّورة) وفجر الغد (11 جويلية 1995) بدأ التّنفيذ..فقد دخلت القوّات الصربيّة المدينة دون مقاومة وقامت بعزل الذكورعن الإناث وارتكبت المجزرة المروّعة في حقّهم دون أن تحرّك الكتيبة الهولنديّة المكلّفة نظريًا بحماية المدنيّين ساكنًا..

بل إنّ قرابة الخمسة آلاف مسلم كانوا قد التجأوا إلى قاعدة الأمم المتّحدة في (بوتوكاري) للاحتماء بها، فقامت تلك الكتيبة بتسليمهم إلى الميليشيات الصربيّة وقايضتهم بـ (14) جنديًّا هولنديًّا من قوات حفظ السّلام كانوا أسرى لدى الصّرب، وتمّت تصفيتهم بدم بارد ،فالجندي النصراني يساوي بالمنطق الأمميّ 358 جثّة مسلمة..هذا وقد التزم (العالم الحرّ) حيال التّواطؤ والتشفّي فلم تحرّك أيّ دولة أوروبية ساكنًا بل زوّدت الصّرب بالعتاد والمحروقات والغطاء الإعلاميّ والأمميّ طيلة سنوات الحرب (لاسيما روسيا وفرنسا)..أمّا الدّولة الأولى في العالم فقد حاولت التغطية على المذبحة ومغالطة المجتمع الدّولي وصرف انتباه العالم عن مكان المجزرة والعدد الحقيقي للقتلى ،فعرضت صورًا ملتقطة بالأقمار الصّناعية تُظهر ما ادّعت أنّه مكان دفن الضّحايا حيث لم يُستخرج منه إلاّ 33 جثّة فقط..

قانون دولي (صليبي)

هذا عسكريًّا ميدانيًّا، أمّا على المستوى القانوني السياسي فقد أقرّت اتّفاقية (دايتون) للسلام بأن يحتفظ كلّ طرف بما سيطر عليه من أراض ولو بالحديد والنّار والمجازر، فكانت سربرينيتشا الشهيدة من نصيب المجرمين الصّرب..كما تفتّق اتّفاق السلام هذا عن أغرب كيان سياسي في تاريخ البشريّة: دويلة يرأسها مجلس يتناوب على رئاسته ثلاث عرقيّات (البوشناق والكروات والصّرب) ينتخب كلٌ منهم رئيسًا لمدّة ثمانية أشهر، كلّ هذا من أجل تذويب الهوية البوسنية الإسلاميّة والحيلولة دون وجود كيان إسلامي داخل قلعة النّصرانيّة (أوروبا)..ورغم أنّ محكمة جرائم الحرب في يوغوسلافيا ومحكمة العدل الدّولية قد أقرّتا سنة 2007 أنّ ما وقع في سربرينيتشا هو (تطهير عرقي وإبادة جماعيّة) إلاّ أنّ ذلك ظلّ حبرًا على ورق: فقد استخدمت روسيا حقّ الفيتو ضدّه وبرّئت ساحة الدّولة الصربيّة باعتبارها (غير ضالعة ولا متواطئة ولا مساعدة في تنفيذ المجزرة ..؟؟؟) رغم أن وحدة (العقرب) التي نفّذت العمليّة كانت إلى حدود 1991 جزءًا من وزارة الداخليّة الصربيّة..أمّا جمهوريّة صرب البوسنة فقد تجاهلت القرار وأنكرت المذبحة وروّجت لروايات مغلوطة تهوّن من الحدث وتعتبر ما حصل مجرّد (جريمة) لا ترتقي إلى الإبادة أو التّطهير العرقي..كما برّئت ساحة الكتيبة الهولنديّة ولم تُدَن إلاّ بمقتل 300 بوسني من مجموع 08 آلاف..وفي الأثناء عمدت الولايات المتّحدة إلى الالتفاف على قرار عودة المهجّرين البوسنيّين إلى ديارهم بأن فتحت لهم أبواب الهجرة إلى أمريكا وأوروبا فبلغ حجم النّزيف البشري السنوي قرابة 35 ألف مهاجر، وبذلك يكون جزءٌ كبير من المكوّن الدّيموغرافي للمدينة المسلمة قد ضاع إلى الأبد، ويكون قد تحقّق للعصابات الإجراميّة الصّربية ما خطّطت له وذلك بغطاء أممي وشرعية قانونيّة ومباركة دوليّة.. ولا عزاء للمسلمين..

ساجدة عز الدين - طرابلس الشام

التمييز العنصري وتفوُّق الرجل الأبيض مفهوم راسخ في الحضارة الغربية الرأسمالية وإسفين في انهيارها

«لا أستطيع التنفس» جملة قصيرة واضحة تظهر الوجه الحقيقي للديمقراطية الأمريكية بلا مساحيق تجميل، لم تكن أمريكا في يوم من الأيام سفيرة سلام إلى العالم، ولا حاملة لتباشيرَ خيرٍ وعدلٍ بين الناس. فهي ومنذ فجر تأسيسها سطّرت تاريخًا أسود قائمًا على العنصرية والاضطهاد. فكان أول ضحايا مبادئها القذرة سكان البلاد الأصليين من الهنود الحمر الذين أبيدوا إبادات جماعية فلم يبقَ من عرقهم إلا قلة قليلة مازالت شاهدًا حيًّا على همجية نظامهم الدموي حتى اليوم، ولم تكن يومًا تُخفي عنصريتها تجاه فئات من الناس، فها هي تدرس في صلب مناهجها التربوية عقيدة النظرية الداروينية التي تتمحور حول فكرة أن العرق الأبيض هو أرقى تطورًا من باقي الأعراق، وذوو البشرة السوداء أقرب إلى الحيوانات في صفاتهم، مثل شكل الجبهة البارزة إلى الأمام وتفلطح الأنف ولون البشرة الداكن، وأن الأعراق الراقية لن تتابع تطورها إلا من خلال إبادة الأعراق المنحطة. ويقول دارون في كتابه (تحدُّر البشرية): «في فترة مستقبلية ما، ليست ببعيدة إذا ما قيست بالقرون، ستقوم الأجناس المتحضِّرة من الإنسان وبشكل شبه مؤكَّد بإبادة واستبدال الأجناس الهمجية عبر العالم».

وليست أمريكا ببعيدة كذلك عن فكر الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو مؤلف كتاب روح القوانين حيث يقول: إن لنا حقًا مكتسبًا في اتخاذ الزنوج عبيدًا، وإن شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين لم يعد أمامها إلا أن تستعبد شعوب أفريقيا لكي تستخدمها لاستغلال هذه الأقطار الفسيحة، فما هذه الشعوب إلا عناصر سوداء البشرة من قمة الرأس إلى أخمص القدمين، ولا يمكن أن الله جلت قدرته يضع روحًا طيبة في مثل هذا الجسم الحالك السواد». وانظروا معي إلى معنى كلمة أسود في معجم «ويبستير»: فالأسود هو «الملطَّخ للغاية بالقذارة، القذر، الملوث، الشرير، سبب الكوارث».

وبناء على هذا يكون التمييز العنصري أمرًا حتميًا في الثقافة الغربية، يقول الشيخ الجليل تقي الدين النبهاني رحمه الله في كتاب نظام الإسلام، «إن الإنسان يكيِّف سلوكه في الحياة بحسب مفاهيمه عنها، فمفاهيم الإنسان عن شخص يحبه تكيِّف سلوكه نحوه على النقيض من سلوكه مع شخص يبغضه وعنده مفاهيم البغض عنه، وعلى خلاف سلوكه مع شخص لا يعرفه ولا يوجد لديه أي مفهوم عنه، فالسلوك الإنساني مربوط بمفاهيم الإنسان»، فهذا الكلام يفسر واقع التمييز العنصري داخل المجتمع في أمريكا، وأن سلوك الناس في أمريكا إنما هو مرتبط بمفاهيم الأعماق في ذلك المجتمع. فالعنصرية عندهم ليست مجرد ممارسة خاطئة، بل هي منبثقة من مفاهيم فكرية.

إن ما يجري في أمريكا ليس نتيجة تطبيق سياسات خاطئة وليس نتيجة إجرام مجرمين ولا فساد حكام فحسب، وإنما فساد وإجرام مبدأ. هذا المبدأ الآيل للسقوط والذي يواجه تحديات داخلية وخارجية. فمن الخارج كورونا وصراعات دولية، ومن الداخل انقسام عنصري بين الأبيض وسائر الألوان، وانقسام طبقي بين الأغنياء وسائر البشر، وانقسام فكري بين يمين ويسار. وأمريكا بلا شك هي الممثل الأبرز لهذا المبدأ، وهم يقرُّون أن المشكلة مبدئية فها هو ترامب يقول: «لن نسمح للغوغاء الغاضبين بتدمير ديمقراطيتنا» يقول هذا الكلام مع أن المحتجين يدينون بنفس الدين الرأسمالي الذي يحمله ترامب؛ ولكنهم يدركون أن المشكلة إن تفاقمت فإنها تهدد المبدأ ككل.

ولكن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن ما يجري في أمريكا يهدف إلى إسقاط المبدأ أو هدم الحضارة الغربية، فالمحتجون لا يملكون مبدأ بديلًا ولا نظامًا آخر يطالبون به، وإنما البديل هو حصرًا لدى المسلمين، وليس لدى سواهم أي أفق لتغيير حقيقي؛ ولكن الرأسمالية كعادتها تعاني من الأزمات تلو الأزمات بشكل متتال، سواء ما نتج عن جائحة كورونا من تهاوٍ لنظامه الاقتصادي، هذا الاقتصاد الذي يعاني قبل كورونا وبعده، أم أزمة العنصرية وانقسام مجتمعاته، وإن كانت الكورونا تهدد المواطن المحكوم فإن العنصرية تهدد النظام الحاكم، وهذا ما نشهده في أحداث أمريكا اليوم. وهو نذير من نذر زوال هذه الحضارة السرطانية الخبيثة.

وينقل عن العلَّامة تقي الدين النبهاني رحمه الله قوله إن ثلاثة عوامل كفيلة لتحطيم أمريكا، إثنان منها داخليان. أما الداخلي فالعنصرية بين الأبيض والأسود، أو انقسام الولايات ومحاولة استقلالها. وأما الخارجي فنزول الدولار عن مكانته ليصبح مجرد عملة محلية. وليست الأحداث التي تجري اليوم في أمريكا هي الأولى من نوعها ولن تكون الأخيرة. وكلام الشيخ تقي الدين رحمه الله إنما كان عن علم وبصيرة، فهو ذكر العوامل التي من الممكن أن تحصل وتهدد كيان هذه الدولة العظمى. ونحن اليوم نشهد حركة ناشطة لواحدة من هذه العوامل أي العنصرية.

فدعونا ننظر إلى مشاهد أخرى من هذه العنصرية والتي لم يسلط الإعلام عدساته عليها. ففي أمريكا أحياء راقية نظيفة للبيض، وهناك أحياء شعبية للسود يقلُّ مستواها عن مستوى أحياء العالم الثالث. وهناك مدارس خاصة لأبناء البيض، وأخرى خاصة لأبناء السود. كما نجد نسبة البطالة ترتفع عند السود بثلاثة أضعاف أكثر من البيض. وعلى الرغم من زيف مبادئ هذا النظام وتباهيه بأفكار الحرية والعدالة والمساواة لم يستطع أن يزيل جذور الفكر العنصري عند الرجل الأبيض تجاه الرجل الأسود، فهو بكل محفل يضغط على زناد عنصريته كلما واجه رجلًا أسود. فوجود النظرة العنصرية هو السبب الرئيس لمشاكل أخرى يعاني منها من يتم تمييزهم؛ لذلك يغلب على مجتمع السود الفقر والبطالة وتدنِّي مستوى التحصيل العلمي وانتشار العصابات وتجَّار المخدرات، فأوضاعهم المعيشية متدنية و يعيشون في فقر مستفحل ومجتمعات معزولة، وإن إضافة واقع قتل أبرياء منهم لا ذنب لهم إلا أنهم سود يزيد الطين بلة، ويجعل من السود أنفسهم أناسًا عنصريين أكثر من البيض؛ لأنهم في المحصلة جزء من هذا النظام الرأسمالي العفن، وقد يكون هذا التمييز العنصري مسمارًا من المسامير الكثيرة في نعش هذا المبدأ المتهاوي.

إن السود كما البشرية جمعاء لا خلاص لهم إلا بالإسلام، فليس لدى غير المسلمين أفق في تغيير حقيقي جذري ينشر العدل بين العربي والأعجمي ويلغي الفارق بين الأبيض والأحمر والأصفر والأسود. فهذا سيد النبيين وخاتم المرسلين يكرم بلالًا الحبشي ويصطفيه يوم فتح مكة عند دخوله الكعبة المشرفة قائلًا له: «ادخل يا بلال فلا يصلينَّ معي أحد في جوف الكعبة إلا أنت». فالإسلام صهر كل المجموعات البشرية في بوتقته دون تمييز، وبقي أثر هذا الانصهار واضحًا حتى يومنا هذا رغم التردي الذي نعيشه. وإن العنصرية التي يعاني منها السود في الغرب جعلت منهم يتشاركون مع المسلمين مشاعر المعاناة، وجعلهم أقرب إلى المسلمين منهم إلى مجتمعاتهم، وبدل أن ينجح الغرب بمكره بدمج المسلمين في مجتمعاته، فإن المسلمين يقومون بجذب غير المسلمين إليهم ومنهم السود، فكثير من السود أسلموا داخل السجون؛ حيث يدخل أحدهم بتهمة المخدرات ثم يخرج مسلمًا بعد أن يحتكَّ بمسلمين داخل هذه السجون (لا سيما سجناء الفكر).

إن الحضارة الغربية ليست هي أولى الحضارات التي طغت وتجبرت ثم أبادها الله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ٢٩) وهي كما سابقاتها تظن أنها لن تزول أبد الدهر؛ ولهذا فإن الغرب يسعى للتوسع والهيمنة على أكبر قدر ممكن من باقي البلدان من أجل أن يضمن إستمراريته، وهذا (ألبرت بيفريدج) ممثِّل ولاية (إنديانا) في مجلس الشيوخ الأمريكي يقول كاذبًا: «لقد جعل الله منَّا أساتذة العالم كي نتمكن من نشر النظام حيث تكون الفوضى، وجعلنا جديرين بالحكم لكي نتمكن من إدارة الشعوب البربرية الهرمة، وبدون هذه القوة، ستعمُّ العالم مرَّة أخرى البربرية والظلام، وقد اختار الله الشعب الأمريكي دون سائر الأجناس كشعب مختار!! يقود العالم أخيرًا إلى تجديد ذاته» وتلك مادلين أولبرايت حيث قالت في إحدى المقابلات معها: «في هذا الكون قوة عظمى واحدة: الولايات المتحدة»!!.

ويقول وزير الخارجية كولن باول بعد أحداث 11 سبتمبر: «نحن الآن القوة الأعظم، نحن الآن اللاعب الرئيس على المسرح الدولي، وكل ما يجب علينا أن نفكر به الآن هو مسؤوليتنا عن العالم بأسره، ومصالحنا التي تشمل العالم كلَّه». وبهذا ندرك أن ترامب ليس الأول من نوعه بين ساسة أمريكا الذين تعالوا في الأرض، فهو حين يقول قبل أيام إنه «لن يسمح للغوغاء أن يدمروا ديمقراطيتنا» يذكرنا بقول سحرة فرعون (قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ٦٣) فالكبر والتعالي على الرب وعلى العباد ديدن الطغاة في كل زمان ومكان، ففرعون يقول كما ذكر القرآن الكريم: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ٢٩)، والمتحدث باسم البيت الأبيض أثناء حرب الخليج يقول: «جئنا نصحح خطأ الرب الذي جعل البترول في أرض العرب». ودعوني أستحضر مقالا جاء في مجلة الوعي يصف حقيقة الحضارة الأمريكية حيث جاء فيه: «إن الحضارة الأمريكية هي كالدوحة الكبيرة التي يفتن ظاهرها الناظر إليها ولكنها واهية انتشرت في داخلها دابة الأرض تأكل الساق والجذور والأغصان والأوراق لتسقط هاوية بعد هبوب رياح الأزمات التي ولدتها بنفسها ولنفسها وتداس بالأقدام. هذا ما سيحدث للمجتمع الأمريكي ولو بعد حين إن شاء الله» ثم يتابع المقال: « إن الثقافة الأمريكية هي كالبناء الذي ليس له أساس عميق، وتحتاج إلى وقفة مع النفس ومراجعة القواعد الأخلاقية والمعايير الاجتماعية التي تقوم عليها. وقد صدق أحد عقلائهم بقوله: «وإذا لم نكن واعين فسيذكرنا التاريخ على أساس أننا الجيل الذي رفع الإنسان إلى سطح القمر ونتكالب لنيل السبق في حرب النجوم، بينما نحن نغوص في الأوحال».

أيها المسلمون، لقد آن للمضبوعين بثقافة الغرب أن يكفروا بها وبمبدئه وحضارته، ويوقنوا أن لاخلاص لهم إلا بالإسلام ممثلاً بدولة عدل تطبقه، دولة تعزه وتعزنا به، ونعود بها من جديد(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ).

وهنا يأتي دورنا كحملة دعوة أن نعمل على تسليط الضوء أكثر فأكثر على عورات هذا المبدأ الفاشل الذي أذاق قومه قبل غيرهم مرارة العيش والظلم والقهر. وعلى الله قصد السبيل.

دور الإعلام الغربي في تشويه صورة الحضارة الإسلامية، والخلافة وحدها من سيوقف هذا التشويه

عبد الله القاضي- اليمن

إن الإساءة التي تعرض لها الإسلام والمسلمون، تكاد تكون غير مسبوقة في تاريخ الأديان والثقافات والأمم، حتى ليمكننا القول – ومن دون مبالغة – بأن هذه الإساءات المنظمة؛ لو وجهت إلى حضارة من الحضارات، أو ثقافة من الثقافات، أو ديانة من الديانات، لانمحت من الوجود، ولما عاد لها أثر على الإطلاق. ولعلَّ المتتبع لما تقدمه بعض وسائل الإعلام الغربية عن الإسلام والمسلمين يقف على ملامح عدة تبرز مدى دور هذه الأخيرة في تنميط صورة الإسلام، وغرس قيم العداء والحقد في نفس الإنسان الغربي، تُجاه كل ما هو إسلامي. وهذه الملامح في الغالب لا تخرج عن النقاط الآتية:

– الأسلام دين العنف والإرهاب والقتل.

– الأسلام انتشر بالسيف ولا مجال فيه للأقناع والعقل.

– الأسلام دين رجعي وبدائي وشهواني.

– الأسلام يمتهن المرأة ويظلمها، ويميز بينها وبين الرجل.

– المجتمع الأسلامي متخلف وبربري.

– الأسلام يأمر بقتل المخالفين في الدين.

– الأسلام دين وحشي في قوانينه ونظمه (نظام الحدود والعقوبات(.

– الأسلام يفرض على المرأة قيودًا ويجعلها على هامش المجتمع.

إن وسائل الإعلام تعدُّ من أخطر المؤسسات المسهِمة في خلق روح العداء لدى الإنسان الغربي تجاه الإسلام، وإن كان هذا العداء يرتكز على ما أفرزته مصادر ومؤسسات أخرى، فالمؤسسات الإعلامية بما تمتلكه من قدرات وإمكانات وقدرة على التأثير تعمل على توجيه الخطاب الإعلامي، وجعله مادة جماهيرية يتفاعل معها المشاهد أو المتلقِّي الغربي فيتأثر بها؛ مما يخلق لديه انطباعًا سلبيًا، وتصورًا خاطئًا عن الشرق الإسلامي.

إن جميع وسائل الإعلام الغربي قد اشتركت في صنع وترويج الصورة النمطية المسيئة للمسلمين، لا فرق في ذلك بين الصحافة المكتوبة، والإذاعة المسموعة، والتلفزيون والسينما والإنترنت

أولًا: في الصناعة السينمائية:

تمتاز وسائل الإعلام المرئية بقدرة فائقة على بلورة الرؤى وتشكيل القناعات، وإذا كانت هذه الوسائل -عمومًا- لها فاعليتها في التأثير على المتلقي؛ فإن السينما تبقى إحدى أهم المنابر الترفيهية إسهامًا في صنع الوعي الجماعي والجماهيري في عصرنا الراهن.

إن السينما تحتل مكانة بارزة في التأثير على الرأي العام الغربي، وتشكيل المعايير والقيم السلوكية تجاه الظواهر المختلفة؛ على الرغم من أن أغلب ما يعرض فيها مجرد افتراء ادِّعائي، تخيُّلي، وتضليل إعلامي يخدم مصالح الغرب الثقافية والأيديولوجية.

ثانيًا: في الإذاعة والتلفزيون:

لا شك أن المتتبع لبعض القنوات الإذاعية والتلفزيونية يجد أن الصورة لا تختلف كثيرًا عما هي عليه في السينما، ومع أن الصحوة الإسلامية في العقود الأخيرة استطاعت أن تلفت إليها نظر الدوائر الغربية بكل مكوناتها، فقد أدى هذا الوضع إلى ازدياد تركيز الإعلام الغربي على الحركات الإسلامية في البلاد العربية، خاصة منها الجماعات التي تستخدم الأعمال المادية، فقد كان هذا الإعلام حريصًا في نشراته بالإيحاء أن أعمال القتل والتدمير والتخريب تدخل في إطار التعاليم الإسلامية.

وهذا التوجه المغرض نجده حاضرًا في التغطية الإعلامية لجل القنوات الإذاعية والتلفزيونية الغربية للصراع بين الحركات الجهادية الفلسطينية والكيان الصهيوني المحتل؛ حيث يتم إبراز هذا الأخير في صورة الضحية، رغم ما يرتكبه من مجازر وحشية في حق الفلسطينيين. أما الفلسطينيون المدافعون عن أرضهم ومقدساتهم فإرهابيون، متعطشون لسفك الدماء، وبالتالي يجب على (إسرائيل) أن تبيدهم دفاعًا عن حق شعبها في الوجود؛ لذا فإن صورة الإسلام في القنوات الإذاعية والتلفزيونية في الغرب، اقترنت في الغالب الأعم بمشاهد العنف والإرهاب.

ثالثًا: في الصحف والمجلات

ونكتفي هنا بالإشارة إلى عناوين بعض الأغلفة والمقالات في الصحف والمجلات الغربية للتدليل على هذا التوجه «الإسلاموفوبي» مثل:

- »جذور الغضب الإسلامي«
- »قنبلة الإسلام الموقوتة «
- »الصين أيضًا قلقة من الإسلام«

والمتتبع لما يكتب في الصحف والمجلات الأجنبية عن العلاقة بين المسلمين ويهود، يجدها منحازة إلى هذا الكيان المغتصب، وفي المقابل تقدم صورة سوداوية عن المجتمع الإسلامي، ويمكن تلخيص ملامح الصورة للكيان الصهيوني الغاصب في الصحف والمجلات الغربية بها يلي:

- إنها دولة مستقلة، لها الحق التاريخي في الوجود.
- إنها مرتبطة حضاريًا وتاريخيًا وثقافيًا بالوجود الغربي.
- إن كل الحروب التي تشنها على المسلمين مبرَّرة أخلاقيًا وإنسانيًا (الدفاع عن النفس(. وفي دراسة قام بها كل من الباحثين: «دورتي» و«واردن» حلَّلا فيها «مضمون افتتاحيات أربع صحف أمريكية وهي: «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست» و«كريستيان ساينس مونيتور» و«وول ستريت جورنال» وجد أن الاتجاه العام لهذه الصحف يتمثل في تصوير (إسرائيل) كدولة محاصرة ومحاطة بدول عربية معادية لها، وفي هذا الاتجاه إيحاء قوي للتعاطف مع هذه الدولة (المسكينة) التي تناضل ضد أعداء متعصبين، يحيطون بها من كل جانب».

رابعًا: في الدعاية والإعلان:

إن الذي يغفل عنه الكثير من المسلمين؛ أن تقديم الإعلام الغربي للصورة السلبية عن العالم الإسلامي، ليس قاصرًا على ما يكتب في الجرائد والمجلات فحسب، وإنما يمتد ليشمل مجال الإشهار أو الإعلان؛ حيث يتم الترويج للسلع والخدمات بطرق مليئة بالسخرية من المسلمين ومعتقداتهم، وهو ما يعني أن حملة الإعلام الغربي على الإسلام والمسلمين ليست عفوية، بل مدروسة بعناية فائقة، ولعل الإعلان ليس أقل تأثيرًا من أفلام السينما، وبرامج التلفزيون، ومواد التحرير الصحفية. وهذا بلا شك راجع إلى أسباب عدة منها:

- إن الإشهار يوظف الغناء، والموسيقى، والمؤثرات الصوتية، والخدع الحركية، كما يعتمد على نجوم الفن والسينما، مما يجعله أكثر فاعلية وتأثيرًا.
- إن الرسالة الإعلانية غالبًا ما تخضع لمنطق الإيجاز والتركيز، كما تتميز أيضًا بعرضها المتكرر، مما ييسر أمر غرسها في ذاكرة المتلقِّي فلا ينساها.
- إن المواد الإشهارية غالبًا ما تشق طريقها باتجاه المؤسسات الإعلامية ذات الوزن القوي، وهو ما يعني أن عدد المتفاعلين مع تلك المواد يكون كبيرًا.

وعلى الرغم من الإساءات المتكررة التي يتعرض لها المسلمون في الإعلانات التجارية في الإعلام الغربي، إلا أن الدراسات في هذا الباب تكاد تكون منعدمة، وهو ما يفرض على الدارسين المتخصصين أن يولوا هذا الموضوع ما يستحق من عناية حتى نتمكن من تشخيص هذه الظاهرة والتعامل معها بشكل شمولي ومتكامل. ولعلَّ المتتبع لما يعرض في بعض وسائل الإعلام الغربي، يقف على كثير من المشاهد الدعائية، التي تعكس نظرة الغرب العدائية للإسلام والمسلمين.

خامسًا: في الصور والرسوم الكاريكاتورية:

ساد الاعتقاد عند كثير من الناس؛ بأن الإساءة إلى الإسلام باستخدام الرسومات الكاريكاتورية لم تبدأ إلا مع الصحيفة الدانمركية: «يولاندس بوسطن» سنة 2005م، وهذا اعتقاد خاطئ. فالرسم الكاريكاتوري وُظِّف في عملية تشويه الإسلام والمسلمين في الغرب قبل ذلك بسنوات طويلة، والمتتبع لهذا الموضوع – خاصة في الآونة الأخيرة – يلمس إصرارًا كبيرًا من قبل بعض المنابر الإعلامية الغربية على استفزاز مشاعر المسلمين والطعن في مقدساتهم.

هؤلاء الرسَّامون غالبًا ما يستلهمون أفكارهم من الواقع الغربي الموبوء، والذي لا يرى في الإسلام سوى تهديدوخطر، وهو واقع موروث ساهم في بلورته الفكر الكنسي في العصور الوسطى، فقد سعى رجال الدين بكل الطرق لإبعاد أوروبا عن الإسلام، وإبعاد الإسلام عن

أوروبا، فجاءت أحكامهم على الدين الإسلامي ونبيِّه أقرب إلى الخرافة منها إلى الواقع، وهو الدور الذي قامت به المدرسة الاستشراقية أيضًا بما خلفته من سموم حول تاريخ الشرق الإسلامي وحضارته. أما القطب الثالث في هذه المعادلة – وهو أخطرها – فهو الخطاب الإعلامي الذي تأثَّر إلى حد بعيد بالقطبين الأولين، فساهم بذلك في إعادة إنتاج تلك الصورة القاتمة عن الشرق الإسلامي.

إن هذه الإساءات تأتي تحت دعاوى حرية التعبير والرأي المكفولة دستوريًا في البلدان الغربية، إلا أن الوقائع تبيِّن أن حرية التعبير عند هؤلاء تخضع لسياسة الكيل بمكيالين، وأن الغرب يزدري هذا الدين دون غيره من الأديان الأخرى، كما أن حرية الرأي والتعبير في العصر الراهن تظهر في مجال الاشتغال الإعلامي أكثر من أي مجال آخر، فأطلقت العنان لرسَّاميها وصحفييها، فأساؤوا إلى الهوية الدينية والحضارية والأخلاقية لمختلف الشعوب والأمم، خاصة الشعوب العربية والإسلامية.

لقد تولَّدت المفاهيم المعادية للإسلام في ذهن الغزاة القادمين من أوروبا رافعين شعار الصليب، بيد أن ستة قرون كانت قد انقضت أيامها على مولد العقيدة الإسلامية في جزيرة العرب، فيما ظلت معظم أقطار أوروبا بعيدة، أو جاهلة بتطورات هذه العقيدة وبإنجازاتها وتجلياتها، وباستثناء نماذج كانت محدودة بقدر ما كانت مقصورة على بقاع بعينها: ما بين بغداد، إلى الأندلس الإسلامية التي كانت نموذجًا للإعجاب بالمسلمين بقدر ما كانت محورًا للحسد والحقد على ما أنجزوه ونعموا به خلال حضارتهم الزاهرة في تلك البقاع من شبه جزيرة أيبيريا في أقصى الغرب الأوروبي، فقد ظل الحقد ماثلًا وأذكت نيرانه السلطة البابوية في روما وسائر أتباعها من أبناء المذهب الكاثوليكي، وهو ما تبلور في خطاب البابا أوربان الثاني الذي ألقاه في عام 1095 للميلاد.

وبدلًا من أن يتبع فيه لغة التصالح أو التواؤم في الحديث عن المسلمين بوصفهم قومًا يعبدون رب السموات والأرض، إذا به يصفهم بأنهم وثنيون يعبدون الأصنام، ومتوحشون لا يتورعون عن تعذيب المؤمنين بحق، فضلًا عن كونهم، مغتصبين للأرض من أيدي أصحابها الشرعيين، وهم المسيحيون اللاتينيون.. إلخ.

إن المعلومات تؤثر على الإنسان بسبب حاجته إليها في التفكير ليربطها مع الواقع وينقلها إلى الدماغ بواسطة الحواس ليحكم عليه. ووسائل الإعلام تنقل المعلومات إلى الناس لتؤثر على تفكيرهم إن كانت خاطئة أو مغلوطة أو صحيحة. ولا تكتفي بنشر المعلومات، بل تربطها بالصورة التي ربما لا تعكس الحقيقة، وهذه أكثر تأثيرًا، وأكثر من ذلك تعطي أفكارًا حول الموضوع، ربما تكون مضلِّلة فيتلقفها الناس وعامتهم تتأثر بذلك. وتستخدم أساليب متقنة لتقنعهم بصحة المعلومات والأفكار لتوجد رأيًا عامًا معينًا.

ولهذا فإن وسائل الإعلام ليست وسائل لبث الأخبار مجردة وبشكل موضوعي بحت دون تدخل فتترك الناس يفكرون، بل هي موجهة من أصحابها حسب عقلياتهم وتوجُّهاتهم والدول التي تقف من ورائهم، فإن كانوا كفارًا أو موالين لهم أو مأجورين فهم في حرب مع الإسلام.

ومن هنا كانت وسائل الإعلام الغربية خاصة، وهي التي توجه وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية، تشنُّ حربًا خبيثة ضد الإسلام وحملته والمتمسكين به، وتدسُّ في أخبارها السم من معلومات مغلوطة وربما كاذبة، ومن تشويه للحقائق، ومن نقل لها من جانب وإهمال

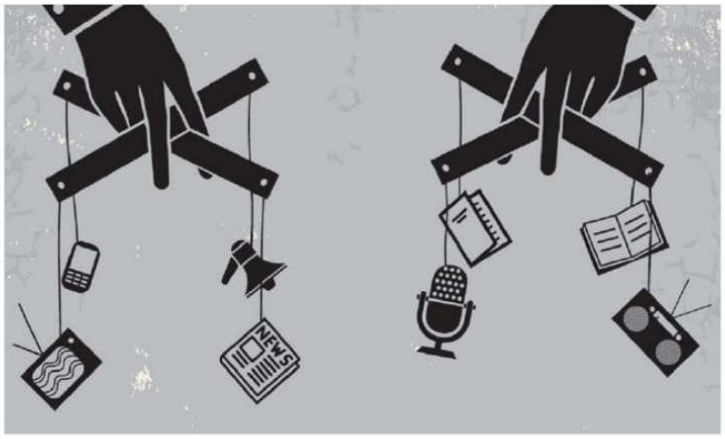

جانب مهم، أو نقل أنصاف الحقائق، أو اعتماد التضليل أو التعتيم أو تلميع جانب وتشويه جانب آخر، ولفت الأنظار إلى جانب وصرفها عن جانب آخر مهم، حسبما تؤدي مصلحتها في هذه الحرب، وإطلاق التسميات والألقاب على المسلمين وخاصة العاملين لإقامة حكم الإسلام لتشويه صورتهم.

والمؤرخون الغربيون كتبوا كيف ضُلِّلت شعوبهم في الحروب الصليبية؛ إذ تعمدت الدول إلى اختلاق الأكاذيب، فوصفوا المسلمين بالهمج وعبَّاد أوثان، وأنهم جعلوا بيت المقدس مكانًا لرمي النفايات، وقام رهبانهم متعمدين الكذب ببث هذه الدعاية فألَّبوا الشعوب لتنقاد لملوكهم المستبدين المتحالفين مع الكنيسة.

وبعد اكتشاف الإذاعة والتلفزيون والإنترنت ومواقع التواصل الإلكتروني والتلفونات الذكية بجانب السينما صار الأمر ممنهجًا ومتقنًا أكثر، وأشد خبثًا؛ إذ تبدو الأخبار أو الصور صحيحة ولكنها تحوي مغالطات أو أفكارًا مضللة. وقد برزت وكالات أنباء ووسائل إعلام لديهم فأصبحت موثوقة.

وقد استخدموا السينما والبرامج والمسلسلات التلفزيونية والفيديوهات عبر الإنترنت لتلعب دورًا مؤثرًا في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، ليصوروهم بأنهم قتلة متوحشون لا يعرفون الحضارة؛ يهينون المرأة، متعصبون جهلة، شكلهم قذر، وتصرفاتهم قبيحة، وملابسهم وسخة، وعقولهم ساذجة، مشايخهم وزعاماتهم لديهم المال يبذرونه على النساء ويتاجرون بهن، دينهم خرافي، ونبيهم زير نساء، وشعوبهم فقيرة متخلفة، والأمراض متفشية فيها، فيثيرون الشك والريبة والخوف من كل ما له صلة بالإسلام. ويصورون الغربي وأتباعه العلمانيين والديمقراطيين كذبًا وزورًا بأنهم رجال سلام ومتمدنون ومتحضرون يحترمون المرأة والإنسان، يعرفون كيف يتصرفون بالمال، وكيف يعالجون المشاكل بحكمة وعقلانية وبعمق وبهدوء، فينتجون الحلول الناجعة والأفكار المستنيرة، وينقذون الضعيف والمرأة والطفل، ويساعدون المحتاج، ويحاربون الشر، ويقدمون الخير للبشرية. فأفلام هوليوود الأمريكية تطفح بذلك وسائر الأفلام والمسلسلات الأمريكية والغربية.

وانهم ليختارون المصطلحات، ففي الثمانينات أطلقوا لقب الأصولية على التفكير الإسلامي والأصوليين على المسلمين العاملين للإسلام؛ ولكنهم لم ينجحوا لأن هذه الكلمة واقعها يختلف عند المسلمين عن الغربيين؛ إذ تعني العودة لحياة المسيح البسيطة والبدائية والرفض لكل أشكال المدنية، فعندما لم ينجحوا في ذلك ولتعزيز حربهم قرنوا الإسلام بالإرهاب والتشدد.

وقد اعترف الرئيس الفرنسي ماكرون يوم 9-7-2018م بالعداوة التي أظهرتها فرنسا ضد الإسلام والمسلمين قائلًا: «هناك قراءة متشددة وعدائية للإسلام ترمي إلى التشكيك بقوانيننا كدولة حرة ومجتمع حر لا تخضع مبادئهما لتعليمات ذات طابع ديني». وذلك عندما رأى المسلمين قد أدركوا أن الغرب منافق وكاذب في ادِّعائه للحرية والمساواة، فيحرِّم الحرية على المسلمين ويمنحها لكل من يعادي الإسلام والمسلمين.

إنهم عملوا على استغلال الهجمات المسلحة التي يقوم بها بعض المسلمين سواء لمقاومة الاستعمار في البلاد الإسلامية أو الذين يقومون بأعمال ضد المستعمرين في عقر دارهم. وربما تقوم الدول الاستعمارية والأنظمة العميلة بتنظيم هجمات وتفجيرات وتنسبها للمسلمين من أجل تشويه صورة الإسلام وتبرير هجومهم على العاملين له؛ فيكون ذلك مادة في وسائل الإعلام في حربهم لمنع عودة الإسلام إلى الحكم ومنع نهضتهم، ولتأكيد نظرتهم حول الإسلام. وإننا لنرى كل دول العالم جعلت محاربة (الإرهاب) حجر الزاوية للهجوم على الإسلام وسخرت كل وسائل إعلامها. فيريدون أن يحموا أنظمتهم من ثورات الشعوب، علمًا أن الدافع لهذه الشعوب هو الإسلام، وتتوق لتطبيقه للتخلص من الظلم والسحق والإذلال الذي تتعرض له.

وها هو وزير خارجية أمريكا بومبيو أثناء زيارته لمصر يوم 10-1-2019م، أعلن تأييد أمريكا لحاكمها المستبد السيسي في حربه على الإسلام، وبأنها تقف معه «في الحرب على (الإرهاب) التي تهدد جميع أصدقائنا في الشرق الأوسط، وإن خطر الإسلام الراديكالي حقيقي». إذًا ليست الحرب على الإسلام بسبب بعض الهجمات المسلحة، بل بسبب رؤيتهم للإسلام بأنه خطر عليهم وعلى الأنظمة التابعة لهم، ويقصدون عودة الإسلام إلى الحكم، وعندئذ سيطهِّر المنطقة من رجسهم ويحرمهم من سرقاتهم لثرواتها.

وبسبب أوضاع المجتمعات والاختراعات الحديثة صارت وسائل الإعلام ووسائل التواصل الإلكترونية تلعب دورًا مهمًا في حياة الناس، وفي تزويدهم بالمعلومات والتأثير عليهم، فكان لزامًا عدم إهمالها، بل فرض استخدامها حسب قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب). وخاصة أن الأعداء يستخدمونها في الهجوم على الإسلام وأهله والعاملين له. فيريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، فصار لزامًا علينا أن نواجه ذلك بكل ما أمكننا حتى يتمّ الله نوره بواسطتنا ولو كره الكافرون وأولياؤهم.

ومن خلال متابعة التطورات السياسية والميدانية على الساحات المحلية والإقليمية والدولية، فإن المتابع لأخبار القنوات الفضائية والبث الإذاعي، وحتى المواقع الإخبارية والتواصل (الاجتماعي) على الشبكة العنكبوتية، يجد نفسه في حيرة من أمره؛ وذلك مما يلاقي من صعوبة الحصول على المعلومة الصحيحة التي تمكِّنه من البناء عليها كوصف للواقع بحيادية مجرَّدة، أي نقل الواقع كما هو وليس من وجهة نظر الناقل لوصف

هذا الواقع، سواءً أكان هذا الواقع سياسيًا أم اقتصاديًا أم اجتماعيًا أم غيره ليتسنى للمتابع تحليل هذا الواقع وفهمه وإعطاء وجهة نظره الخاصة حوله.

مع أن هناك فرقًا شاسعًا بين وصف الواقع كواقع وبين وجهة نظر الشخص عن هذا الواقع، فالواقع له وصف واحد لدى جميع الناس بغض النظر عن ناقله، فهو عام. أما وجهة النظر عن هذا الواقع فلا شك أنها تختلف من شخص لآخر، ومن جماعة لأخرى، ومن مبدأ لآخر؛ وذلك حسب عقيدة المبدأ أو الجماعة أو الأشخاص وما انبثق عن هذه العقيدة من مفاهيم، وما تولَّد عنها من سلوك.

إن ثقافة أي مجتمع من المجتمعات أو أية أمة من الأمم لا بد أن تكون خاصةً بهذا المجتمع أو بهذه الأمة؛ لأن الثقافة انبثقت عن مبدأ أساسه عقيدة خاصة به لا سواه، وكما أن المبدأ عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام، وكذلك المجتمع يتكون من أفراد وأفكار ومشاعر وأنظمة، فلا بد من أن تكون أفكار ومشاعر وأنظمة هذا المجتمع من عقيدة المبدأ الذي آمن به أفراده، بل ولا بد من حمل أفراد هذا المجتمع لهذه الأفكار والمشاعر في عقلياتهم ونفسياتهم، وكذلك تطبيق أنظمة هذا المبدأ عليهم، ومن البَدَهي أنه لا يمكن تطبيق أنظمة هذا المبدأ إلا من خلال جهاز تنفيذي وهو الدولة، ولا بد لهذه الدولة من سلطان على الناس؛ ولكن هذا السلطان ليس مطلقًا وإنما خاضع لأحكام وأنظمة المبدأ وتحت رقابة جهة المحاسبة، فالذي مكَّنه من هذا السلطان هي الأمة بإنابتها إياه ليطبق عليها أحكام وأنظمة المبدأ، ولن تكون لهذه الأحكام والأنظمة القوة الرادعة للحاكم قبل المحكوم إلا إذا كانت لها السيادة؛ فقوتها من سيادتها، وضمان بقائها راجع لقناعة الناس وتمسكهم بها وفاعليتها في سلامة تطبيقها.

والأصل في المبدأ أن يأتي بحلول ناجعة لمشاكل الواقع الذي يعيشه الناس، لكن هذه الحلول تتبع نوع المشكلة، وهي على نوعين:

النوع الأول: مشاكل تختص بعلاجها عقيدة مبدأ الأمة المؤمنة به،

والنوع الثاني: مشاكل تختص بعلاجها الخبرة والمعرفة.

أما النوع الأول: لا بد من علاجه بعقيدة مبدأ الأمة المؤمنة به، وينفذ عن طريق سلطانها النائب عنها المختار برضاها وقناعتها ومن ضمن دائرة عقيدة المبدأ لكي لا تتعدد المعالجات فيحصل الاختلاف والتنازع،

وأما النوع الثاني: فيكون علاجه من أهل الخبرة والاختصاص بشرط أن لا تناقض هذه الحلول عقيدة مبدأ هذه الأمة، وهنا تظهر أهمية سلطان الأمة النائب عنها في حسم الأمور وحسن الرعاية وصيانة المجتمع من الانحطاط والتفكك.

لقد أصبح الإعلام اليوم أكثر أهميةً عن ذي قبل؛ وذلك يرجع إلى تعدد وسائله وأساليبه وانتشاره، فقد جعل العالم كله كقرية صغيرة، سواء لخدمة الأفراد أم الدول، ومن ثم أصبح الاعتماد على الإعلام بشكل أكبر في نقل الأحداث وتبادل المعلومات والمراسلات. وكلما تقدمت التقنية العلمية كان إنجاز الأعمال بشكل أسرع وأدق، ووصول المعلومات للمتابعين لها بسهولة ويسر، هذا في الجانب الخدمي. كما أن للإعلام أهمية في الجانب الفكري والسياسي والمتمثل في تكوين الرأي العام عند الناس؛ لذا يقتضي منا نحن المسلمين أن نعي على حقيقة الإعلام أو ما يسمَّى بالسلطة الرابعة ودورها في صناعة الخبر وصياغته، ومن ثم تقديمه للناس بصورة تخدم مصالح المتحكمين في الإعلام. والأصل في الإعلام نقل صورة صادقة عن الحدث وإلا كان تضليلًا وكذبًا. والتضليل الإعلامي هو بث الأفكار والمعلومات المضلِّلة والخاطئة لرسم صورة مخالفة للواقع عند الناس.

إن الغرب لا يمل في صراعه مع الإسلام، وقد أبدع في استخدام الوسائل والأساليب التي تمكنه من حسم هذا الصراع لصالحه، فاستحدث أسلوبًا جديدًا لحرف اهتمام وتفكير الأمة لخدمة مصالحه وأنفق عليه المليارات، وكان الدور المنوط بهذا الإعلام هو إبعاد الأمة عن التفكير المنتج الذي يؤدي إلى التغيير الحقيقي بالإضافة إلى تكوين رأي عام مشوَّه عن الإسلام ونظامه عند عامة الناس.

إن خطر التضليل إذا لم يُنتبَه له فإنه يحدث شرخًا بين الأمة ومبدئها، ويحول بين الشعوب الأخرى واهتدائها إلى دين الحق كما هو حاصل هذه الأيام.

إن الأصل الذي يجب أن يكون عليه الإعلام في دولة الإسلام هو أن يتولَّى وضع السياسة الإعلامية للدولة لخدمة مصلحة الإسلام والمسلمين وتنفيذها، في الداخل لبناء مجتمع إسلامي قوي متماسك ينفي خبثه وينصع طيبه، وفي الخارج لعرض الإسلام في السلم والحرب عرضًا يبيِّن عظمة الإسلام وعدله وقوة جنده، ويبين فساد النظام الوضعي وظلمه وهزال جنده، وهذا ما سيكون عليه الحال عند قيام دولة الخلافة الثانية على منهاج النبوة القادمة قريبًا بإذن الله تعالى.

شعر نسائنا المسلمات بضاعة تُباع

دعاء داوود (الأرض المباركة -فلسطين)

الخبر:

ورد على صفحة سي إن إن، تقرير حول قيام إدارة الحدود والجمارك الأمريكية باحتجاز شحنة من 13 طنا من الشعر الطبيعي، جاءت من الصين من إقليم شينجيانغ، والذي يعاني فيه مسلمو الإيغور من السياسات القمعية ضدهم؛ حيث أنشأت السلطات الصينية مخيمات احتجاز ضخمة. وقد وردت تقارير حول احتجاز ما يزيد عن مليون مسلم ومسلمة من الإيغور فيها، عانوا من التعذيب والمعاملة القاسية واللاإنسانية، كالإساءة الجسدية والجنسية، والإجبار على العمل، وحتى الموت. كما أخبر العديد من المحتجزين السابقين عن تعرضهم للحرمان من النوم، وسوء التغذية، والحقن القسري.

حيث اشتبهت إدارة الحدود والجمارك الأمريكية، بأن الشعر كان قد أُخذ قسرا من نساء الإيغور المسلمات المحتجزات في مثل تلك المخيمات. وهذه ثاني شحنة يتم احتجازها لما فيها، حسب ادعاء إدارة الحدود والجمارك الأمريكية، من خرق لحقوق الإنسان. حيث تريد أمريكا أن ترسل رسالة واضحة للصين بأنها لن تتحمل الممارسات غير المشروعة وغير الإنسانية التي تقوم بها الصين. الا أن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في الوقت نفسه قام في 2019، بتشجيع الرئيس الصيني شي جين بينغ على بناء مخيمات الاحتجاز تلك، حيث إنها الأمر الصحيح الذي يجب القيام به حسب رأيه.

التعليق:

لقد أمعنت النظم العلمانية في تعريض المسلمين لأبشع أساليب التعذيب والقهر. وها هي الصين تتخذ نهجا ليس بالجديد على وحشيتها، في بيع أعضاء المسلمين، ولكن هذه المرة ليس بسرية في السوق السوداء مثلا، بل جهرا وعلانية. فقد قامت ببيع شعر أخواتنا وبناتنا المسلمات من الإيغور، في صفقات تجارية دولية عقدتها مع شركات أمريكية، تجاوزت قيمتها الـ800 ألف دولار. في سياسة قمعية تخرق حتى أبسط حقوق الإنسان الأساسية.

أما أمريكا التي تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان، حيث قامت باحتجاز الشحنة لتبحث في حقيقتها ولتظهر للصين أنها لن تتهاون في قضية حقوق الإنسان، فإنها لم تقم بذلك إلا لمصلحة سياسية تريد تحقيقها. حيث إن رئيسها دونالد ترامب هو نفسه الذي شجع الرئيس الصيني على بناء مخيمات الاحتجاز تلك، ووجد أنها الأسلوب الأفضل للتعامل مع الإيغور المسلمين. هذا هو الحقد الدفين الذي يكنّه الغرب للمسلمين. وما حقوق الإنسان إلا ورقة يرفعها الغرب عندما تصب في مصلحتهم، ويدفعون بها بعيدا عندما تخالف تلك المصالح. فلا تزال الاحتجاجات في أمريكا ضد التمييز العنصري وانتهاكات حقوق الإنسان التي تتعرض لها العرقيات الصغيرة في أمريكا مستمرة إلى الآن.

وسيبقى حال المسلمين هيناً على أعدائهم لا يحسبون لهم أي حساب طالما أنهم يفتقدون القيادة الحكيمة التي تجمع كلمتهم وتهتم لأمرهم وتدافع عن أرواحهم وأعراضهم وأموالهم... وأمثلة ذلك كثيرة في تاريخ المسلمين. فما قام به الخليفة هارون الرشيد عندما سبى الروم نساء مسلمات خير مثال على ذلك؛ فما إن ورد خبرهن للخليفة وهو في الرقة في العراق، حتى أمر بالنفير العام لغزو الروم، وغزى بنفسه على رأس الجيش الإسلامي فهزم الروم بإذن الله وحرر السبايا المسلمات، وفتح الله على المسلمين يومها فتحاً عظيماً. (كتاب صفوة الصفوة لابن الجوزي). ولن يطمئن للمسلمين بال أو يهدأ لهم حال إلا إذا عملوا لإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة فتحميهم وتحفظهم وتصون أعراضهم. قال تعالى: [وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا].

د. إبراهيم التميمي

الانفصام بين الحكومات والشعوب... التشخيص والعلاج

نظرة سريعة إلى العالم الذي يعج بالأزمات والاضطرابات والاحتجاجات ضد الحكومات وسياساتها وغضب الشعوب تجاهها، تظهر بشكل واضح وجود شرخ عميق وحالة انفصام بين الكثير من الشعوب ومن يحكمها، وهذا الحال بات ملاحظاً حتى في الدول الكبرى مثل أمريكا وفرنسا، وهو أكثر وضوحاً في الدول التابعة، كما هو حال الأنظمة في بلاد المسلمين، وكذلك فيمن هم أقل من دولة بكثير كما هو حال السلطة في فلسطين.

ويتساءل الكثيرون عن سبب ذلك الانفصام، وعن سبب عدم انقياد الشعوب في كثير من القضايا لتوجيه الحكومات، حتى في تلك القضايا التي يظهر فيها الحرص على الناس، مما يسبب حالة إرباك ويفاقم الأزمات! وهل فعلا المشكلة في الشعوب التي يهاجمها البعض ويصفها باللامبالاة والتخلف واللامسؤولية وغيرها من الأوصاف أو أن المشكلة فيمن يحكم الشعوب وفي النظام الذي يحكمه؟! وهل يوجد نظام حكم يمكنه تحقيق الانسجام الكامل بين الناس والنظام المطبق عليهم في الدولة؟

قبل الخوض في الإجابة على تلك التساؤلات لا بد من بيان بعض الأمور التي تجعل الشعوب تنقاد طوعاً للحكومات وقراراتها وتلتزم بما يطلبه النظام الحاكم منها:

أولاً: الناحية المبدئية

وهذه تتأثر بالعقيدة التي يحملها الشعب، والنظام المنبثق عنها، والذي تطبقه الحكومة، حيث يعتنق الشعب عقيدة والحكومة تنظم حياة الناس وتضع القوانين وفق تلك العقيدة التي يعتنقها الشعب، إذ من المفترض أن تكون الدولة هي الكيان التنفيذي لمجموعة المفاهيم والمقاييس والقناعات التي تحملها الناس، وعندها ينظر الشعب لتلك الأنظمة والقوانين المطبقة عليه نظرة احترام كونها منبثقة من النظام الذي اختاره لتنظيم حياته، فيلتزم بتلك الإجراءات والقوانين بشكل طوعي.

ثانياً: الناحية القانونية وفرض العقوبات

لا يمكن لأية دولة أن تقوم وتستمر دون فرض قوانين تنظم شؤون الحياة وتلزم الشعب بالسير وفقها وتعاقب من يخالفها، وهذا وضع طبيعي، ولكنه يتأثر بالناحية المبدئية فإن كان هنالك انسجام بين الشعب وعقيدته ونظامه ودولته كانت هذه الناحية القانونية تعالج فئة محدودة من الناس يتواجدون في كل عصر وزمان ومكان يرتكبون المخالفات ويتجاوزون القوانين وهم بحاجة إلى عقوبات رادعة تزجرهم عن إفساد المجتمع والعبث به، ولكن إن كان هنالك حالة انفصام بين الشعب والنظام المطبق عليه فإن رقابة الدولة الشديدة هي التي تلزم معظم الناس بسياساتها وقوانينها فإن غابت رقابة الدولة انتشرت الفوضى وعمت المخالفات.

هل فعلاً المشكلة في الشعوب أو أن المشكلة فيمن يحكم الشعوب؟ وهل يوجد نظام يحقق الانسجام التام بين الناس والدولة بنظامها وقوانينها؟ سنحاول الإجابة على تلك التساؤلات بتشريح ثلاثة نماذج وفق النقطتين السابقتين.

الدول الرأسمالية الغربية:

في الدول الرأسمالية الشعب يعتنق عقيدة فصل الدين عن الحياة، والحكومة تشرع القوانين وتضع الأنظمة بما ينسجم مع تلك العقيدة، والشعب كان سابقاً ينظر لتلك القوانين والإجراءات نظرة إجلال واحترام ويلتزم قسم كبير من الشعب بها طوعاً ويقدس الدستور والقانون لأنه يرى أنها جاءت لخدمته ورعاية شؤونه، ولكن ذلك قد تغير فما أن بدأت الشعوب الغربية تكتشف وتدرك أن الهدف من سياسة النظام الرأسمالي ليس خدمة الشعب وإنما خدمة فئة معينة مثل أصحاب رؤوس المال أو السياسيين وأنه جاء لخدمة فئة معينة وتسخير بقية الشعب لخدمتها وأن النظام الرأسمالي بطبيعته البشرية الناقصة والعاجزة لا يمكنه تحقيق العدل والإنصاف بين الناس وأنه قد فشل في توفير الحياة الكريمة للجميع حتى تغيرت الحالة المبدئية والنظرة للنظام عند الشعوب الغربية وضعف الالتزام الطوعي عندها وازدادت حالة الانفصام بين الحكومات والشعوب، وكلما زاد وعي الناس على بشاعة وجشع النظام الرأسمالي كلما زاد الانفصام وتوسع، وهذا يلاحظ في احتجاجات أوروبا وخاصة فرنسا وكذلك ما حصل في الولايات المتحدة، وهنا تلجأ تلك الدول والحكومات للتغطية على ذلك بالتركيز على الناحية القانونية والأمنية لضبط النظام وتشديد الرقابة، فإن ضعفت رقابة الدولة أو كانت غير قادرة على ضبط الأمور انتشرت الفوضى والتدمير والسرقة والحرق.

ولذلك بات يعتمد انضباط الشعوب في كثير من الدول الغربية على الناحية القانونية بعد أن ضعفت الناحية المبدئية، ويساعد تلك الدول في انضباط الناس تحول بعض القوانين إلى ثقافة ومفاهيم عند الناس بعد فترة من الزمن، وخاصة القوانين التي يستسيغها الانسان بعقله ويقتنع أنها صحيحة، مثل قوانين النظافة والسير والحرص على البيئة وغيرها، ولكن تبقى تلك الدول مهددة لأن صمام أمان الاستقرار هو الناحية المبدئية، والناحية القانونية تساعد في ذلك وليس العكس وإلا كانت الدولة في خطر، ويتضح ذلك بالنظر إلى ما حصل في أمريكا؛ حيث انقلب الحال في بضعة أيام من نظام والتزام إلى احتجاجات وحرق وسلب وتدمير قابلها الرئيس دونالد ترامب بتهديد الشعب بإنزال الجيش وكأنه في حرب!

البلاد الإسلامية:

في بلاد المسلمين لا وجود للالتزام الطوعي المبدئي لأن النظام المطبق ليس من جنس عقيدة الناس، فالناس يعتنقون عقيدة الإسلام، والدولة تطبق النظام الرأسمالي وهذه حالة شاذة سياسياً وتاريخياً، ولذلك نجد الأنظمة في بلاد المسلمين أنظمة بوليسية قمعية تعتمد على القوة والترهيب في فرض القوانين، ونجد الناس يلتزمون بتلك القوانين بدافع الخوف من النظام ومن العقوبة، وإذا ما أضيف لذلك حالة الفساد التي يعيشها النظام من نهب وسلب وعمالة سياسية وتضييع للثروات والمقدرات وامتهان للكذب والتضليل والتدليس على الناس وتكديس للمال في يد الفئة الحاكمة ومن يتبعون لها، وفي المقابل ضعف الاقتصاد وهشاشة البنى التحتية وإهمال رعاية الناس وإثقال كاهلهم بالضرائب والجمارك وانتشار الفقر والجوع والمرض، فإن الناس تكون في حالة بغض للنظام وعدم ثقة وتتحين ضعف الدولة وغياب رقابتها لتتجاوز قوانينها، فإن حصل ذلك داست الشعوب على القوانين ولم تلتزم بما طلب منها ولو كان ظاهره الحرص عليها بل تمارس عكسه نكاية بالنظام الجائر الذي يحكمها أو تكذيباً لنظام خبرت كذبه وخداعه، وهذا ما يفسر استخدام الأنظمة الحاكمة في بلاد المسلمين القوة المفرطة في فرض الإجراءات والقوانين واللجوء في بعض الأحيان لإثارة غريزة البقاء بنشر الخوف والفزع بين الناس وتضخيم الأحداث لدفع الناس للالتزام بما يطلب منهم وإشعارهم بالخطر رغم أن الخطر يكون حقيقياً وبيّناً في بعض الأحيان.

الخلافة الإسلامية:

في دولة الخلافة يكون الوضع الداخلي مستقراً بشكل فريد، وذلك لأن الدولة تقوم بتطبيق النظام الإسلامي المنبثق من عقيدة الأمة، العقيدة الإسلامية التي هي من عند الله وهي أساس الدستور والقوانين وأجهزة الدولة وكيانها، وهذا يجعل نظرة الناس للقوانين والتشريعات نظرة شرعية تعبدية فيلتزمون بها لأنها مستنبطة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولأن الأمة تدرك وتعلم علم اليقين أن الله عليم خبير بما يَصلح لها ويُصلح حالها، وعادل فيما شرعه لها، فتكون مطمئنة مستسلمة لحكمه وتشريعاته، وتكون نظرة الناس للخليفة ومن هم في الحكم أنهم أمناء على الأمة وأن عملهم تعبد الله في إحسان رعاية شؤون الناس وخدمتهم، وأنهم مسؤولون عن الناس في كل صغيرة وكبيرة، وأنهم لا يحسدون على مواقعهم لأنها حمل ثقيل عليهم وأمانة عظيمة في رقابهم وليست رفاهية وجمعاً للمال والثروة وامتلاكاً للقوة والسطوة، وفي ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»، ولذلك يكون الانقياد لهم طوعي عن رضى وقناعة أنهم أمناء حريصون على الأمة ومصالحها، وكذلك طمعاً في رضوان الله الذي أمر بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ} وهذا يجعل الدولة والحكام والناس في حالة انسجام، فالدولة تأمر والناس تطيع والناس تحاسب والدولة تستمع وتبذل جهدها في تلافي الأخطاء ورفع الظلم، ولكن ذلك وإن كان الأصل ولكنه لا يكفي لأن من طبيعة النفس البشرية أن ترتكب الأخطاء وهنالك أناس لا تردعهم الأحكام الشرعية ويخالفون قوانين الدولة ويتجاهلون إجراءاتها، وهنا يأتي دور الناحية القانونية والرقابة والعقوبات لمن يخالف ولكنها ليست الأصل فيكفي خطاب من الخليفة ليلتزم معظم الناس ويكفي رقابة محدودة ليلتزم البقية، وهكذا كان الحال في عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم، وفي ظل وجود حالة الانسجام تلك بين الناس والنظام والدولة، فإنه يكفي عندها شرح مبسط ودقيق من الدولة للخطر الذي يتهدد الناس ليتجنبه الناس بشكل جاد وحذر ودون الحاجة لأن تلجأ الدولة للتهويل والتضخيم لإقناع الناس وذلك باللعب على وتر غريزة البقاء والمجازفة بما قد يجلبه ذلك من كوارث نفسية وصحية واقتصادية واجتماعية مدمرة على الناس قال تعالى:{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ}.

وفي الختام نسأل الله أن نكون في هذه المقالة قد وفقنا في تشخيص سبب حالة الانفصام بين الشعوب والأنظمة سواء في الدول الغربية أو في بلاد المسلمين ومنها ما هو حاصل في فلسطين، وفي ذلك بيان فكري سياسي لأولئك الذين يهاجمون الناس والشعوب ويصفونهم بالتخلف والهمجية ومثيري الشغب والفوضى وينعتونهم باللامبالاة واللامسؤولية، وهم في حقيقة الأمر لو تمعنوا في ذلك الانفصام لوجدوه مؤشراً على فساد وفشل النظام الحاكم وإدراك الناس لذلك الفساد والفشل، وكذلك نأمل أن يكون في هذا الطرح بوصلة للسياسيين والمفكرين الذين يبحثون عن تفسير لحالة الانفصام بين الحكومات والشعوب فتارة تراهم يهاجمون الحكومات وتارة يهاجمون الشعوب وتارة يتخبطون بين الأمرين، وهنا لا نقصد أصحاب اللغة الهابطة التي تفتقد للفكر والسياسة والأدب والحقيقة في تشخيص الواقع والذين يحاولون الدفاع عن الأنظمة بكل الطرق والوسائل ويحاولون بكل الوسائل جلد ظهور الناس وعقولهم ويتفانون في البحث عن شماعة لتبرير فشل الحكومات في نيل ثقة الناس وأخذ قيادتهم وطاعتهم حتى في القضايا التي يظهر فيها الحرص على الناس، فأولئك النفر لا يبحثون عن الصواب ولا يتبعون الحق وهم في حقيقتهم من «عظام رقبة» النظام ومن الوسط السياسي الفاسد التابع له، وهم جزء من المشكلة.

صلح الحديبية

إبراهيم سلامة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن ولاه،

أنشأ رسول الله ﷺ أمة تُنظم شؤون حياتها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بمنهاج الله تبارك وتعالى، منهاجا ينظم حياة الناس ويحقق العدل والإنصاف بينهم، قال الله تبارك وتعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) 50 المائدة

وأقام رسول الله ﷺ الدولة الإسلامية التي تطبق الإسلام وتنفذه وتحمله هدى للعالمين وتجعله الرابط بين المؤمنين، رابطا عقائديا يتعدى الجنس واللون والقومية والإقليمية والعنصرية والوطنية والعصبية، ويصهر الناس في بوتقة الإسلام فيصبحون في دين الله إخوانا، وحين ندرس أو نعرض سيرة رسول الله ﷺ والأحداث التي رافقت نشأت الإسلام أمة ودولة، لا نعرضها كتاريخ أو قصص وأحاديث، إنما نعرض حياتنا التي يجب أن نتبعها ونقيمها على كتاب الله وسنة رسوله ، كما أقامها رسول الله ﷺ، وحافظ عليها الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، واستمر عليها عباده الصالحين، ولا نكون كمن وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا) 106الكهف، هؤلاء الذين يدعون إلى القومية والوطنية والإقليمية والقبلية والمدنية والديمقراطية والعلمانية، أو يخلطونها بالإسلام، ومنهم أيضا الذين يفرضون أن حياتنا وطريقة عيشنا حياة إسلامية وهي ليست كذلك، ويتعدون ضرورة ووجوب إقامة الدولة الإسلامية وتحكيم شرع الله بتنظيم شؤون حياتنا، ومنهم من يتغنى بإنجازات لورنس العرب وجيرترود بل وعبد الله فلبي وبيرسي كوكس وغيرهم، والشاهد على تلبيسهم على المسلمين، ما تعيشه بلاد المسلمين من التفرقة والتشرذم والفقر وضنك الحياة وقسوتها وتحكم الكفار بمصيرها ونهب خيراتها والظلم والبطش المقيم في أرجائها، قال الله تبارك وتعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) 127طه.

بعد هزيمة الأحزاب والقضاء على بني قريضة، استقرت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة واستتب الأمر لرسول الله ﷺ وللمسلمين في المدينة المنورة وما حولها، أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالحج، وأحرموا بالعمرة، واستنفر العرب من حول المدينة المنورة من غير المسلمين ليخرجوا معه للحج، وخرج منها يوم الإثنين غرة ذي القعدة سنة 6 هجرية ومعه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وخرج معه ألف وأربعمائة من المسلمين، وأخذ معه سلاح المسافر، وهي السيوف في القرب، فلما سمعت قريش بخروج رسول الله ﷺ، استعدت وجهزت نفسها لملاقاته ومنعه من دخول مكة المكرمة، فقال رسول الله ﷺ: (يا ويح قريش, لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم، دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به، حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة) ثم قال: (من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟) فسلك بهم رجلا من أسلم طريقا وعرا بين الشعاب حتى أفضوا إلى أرض سهلة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، أن (اسلكوا ذات اليمين) في طريق تخرجهم على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة، فلما رأت خيل قريش قترة جيش المسلمين وقد خالفوا طريقهم وأصبحوا خلفهم قريبين من مكة، رجعوا راكضين إلى قريش، ولما اطمأن رسول الله ﷺ في مكان نزوله جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، وكانت خزاعة موضع سره وأهل نصحه فكلموه وسألوه ما الذي جاء به، فأخبرهم أنه لم يأتي يريد حربا وإنما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته، فرجعوا إلى قريش فقالوا لهم: يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد فإنه لم يأت لقتال، وإنما جاء زائرا لهذا البيت، فاتهموهم وجبهوهم، وقالوا وإن كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا، ولا تُحدث بذلك العرب، ثم بعثوا مكرز بن حفص بن الأحنف فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال: (هذا رجل غادر) ثم بعثوا لرسول الله الحليس بن علقمة، وكان سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه) فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، رجع إلى قريش وأخبرهم بما رأى، فقالوا له إجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك، فغضب الحليس وقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاهدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له، والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، بعد ذلك بعثوا عروة ابن مسعود الثقفي، فرجع إليهم وقال لهم: يامعشرقريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد ﷺ في أصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيئ أبدا، فروا رأيكم فقامت قريش وبعثت خمسين رجلا وأمروهم أن يطوفوا بمعسكر رسول الله ، ليصيبوا أحدا من أصحابه ، فأُخذوا أخذاً، وقد أعمى الكفر والعنجهية بصيرة قريش، وظنت أن المسلمين ضعاف غافلين، فمكن الله المسلمين من أسر رجال قريش جميعا وشدوا وثاقهم، وعفى عنهم رسول الله وخلى سبيلهم، إظهارا للقوة وإمعانا بالتصريح أنه لم ياتي محاربا، ثم بعث رسول الله ﷺ، سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى قريش ليخبرهم أن رسول الله لم يأت لحرب، إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته، وليس معه إلا سلاح المسافر السيوف في قربها، ولما تأخر رجوع سيدنا عثمان رضي الله عنه، بلغ رسول الله خبرا أن قريش قتلته، فقال: (لا نبرح حتى نناجز القوم) ودعا أصحابه ووقف تحت الشجرة وبايع أصحابه على أن لا يفروا من القتال، فكانت هذه بيعة الرضوان، ونزل فيها قوله تبارك وتعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) 20الفتح إن طاعة الله وطاعة رسوله هي خير الدنيا والآخرة (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ) علم ما في قلوبكم من حمية لدينكم وصدق إيمانكم وإخلاص بيعتكم وحرصكم على طاعة الله وطاعة رسوله فرضي عنكم (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) فتح خيبر وفتح مكة، ما دمتم ملتزمين ومتمسكين بطاعة الله وطاعة رسوله ، (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) مغانم كثيرة في الدنيا والآخرة على دوام طاعتكم لله ولرسوله ، وقد رجعكم في هذه سالمين غانمين وكف أيدي الناس عنكم، (وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) فإن حالكم وأمركم لا يصلح حاله أوله وآخره إلا بما صلح أوله، أي أن الله تبارك وتعالى يعد المؤمنين النصر والتمكين في كل زمان ومكان، كما نصركم وأعزكم ما أطاعوا الله وأطاعوا رسوله وأخلصوا لله ولرسوله كما آمنتم وأخلصتم. وتبين بعد ذلك أن سيدنا عثمان رضي الله عنه لم يقتل وأنه أقنع قريش بأن رسول الله ﷺ لم يأت محاربا، بل معتمرا ومعظما للبيت الحرام، فبعثت قريش سهيل بن عمرو وقالوا له: ائت محمدا فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تُحدث العرب عنا أنه دخلها عنوة أبدا، فلما رأه رسول الله ﷺ مقبلا قال: (قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل) فجاء سهيل فتكلم طويلا مع رسول الله ﷺ، وتم الإتفاق على أن يرجع الرسول عامه هذا، فلا يدخل مكة وإذا كان العام القادم دخلها المسلمون فاقاموا بها ثلاثا، معهم سلاح الراكب، السيوف في القرب ولا يُتعرض لهم. و توضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض. ومن أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت خزاعة في عقد محمد وعهده، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم. ومن أتى محمدا ﷺ من قريش من غير إذن وليه - أي هاربا منهم - رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد ﷺ - أي هاربا منه - لم يرد عليه. وفي رواية أخرى هناك بند يوضح أن الذي يرد هم الرجال فقط (وعلى أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته علينا) ولم تدخل النساء في العقد، ولم تُرد إمرأة إلى الكفار قط. وإن بيننا عيبة مكفوفه - أي أن كلا يطوي صدره على ما عنده عن الآخر- وأنه لا أسلال - أي لا سرقه - ، ولا أغلال - أي لا خيانة . وقد خيل لبعض المسلمين أن سهيل بن عمرو قد أملى شروطه على رسول الله ﷺ،

الله ﷺ، فالرسول ﷺ يقول لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه، اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فيقول سهيل بن عمرو لا أعرف هذا، ولكن اكتب بسمك اللهم، ويقول رسول الله: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فيقول سهيل بن عمرو: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك، فيقول رسول الله ﷺ: (إني رسول الله وإن كذبتموني) وأمر علي بن أبي طالب أن اكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله

عليه سهيل ابن عمرو، وقبل أن تكتب نصوص ما تم الإتفاق عليه، كان صوت أبي جندل بن سهيل بن عمرو يدوي في اذان المسلمين وقد ضربه أبوه سهيل في وجهه، وأخذ في تلابيبه، ليرده إلى المشركين، وأبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين يفتنونني عن ديني ؟ ورسول الله يقول: (يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله فلا نغدر بهم) وقال للمسلمين: (إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله) (ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا) من ذهب إليهم قد إرتد أراحنا الله من ، ومن جاءنا ورددناه إليهم، سيجعل الله له فرجا ومخرجا، وظاهر البند الذي يقول ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وإنه اذا كان العام القادم، خرجنا عنك فتدخلها باصحابك، فبعض ظاهر هذه النصوص يشي أن قريش أملت شروطها على رسول الله ، فأخذ بعض المسلمين يتسائلون ألم تقل يا رسول الله ، أنك تدخل مكة امنا ؟ قال صلى الله عليه وسلم: (بلى أفقلت لكم من عامي هذا ؟) قالوا: لا قال: (فهو كما قال لي جبريل عليه السلام) وقد كان أصحاب رسول الله ، خرجوا وهم لا يشكون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب قال: (قوموا فانحروا)، فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة رضي الله عنها، فذكر لها ما لقى من الناس، فقالت: يارسول الله ﷺ أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا، ودعا رسول الله للمحلقين ثلاثا بالمغفرة وللمقصرين مرة ، قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد عن ابن عباس قال : حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: (يرحم الله المحلقين) قالوا: والمقصرين يا رسول الله ، قال: (يرحم الله المحلقين) قالوا: والمقصرين يا رسول الله، قال: (يرحم الله المحلقين) قالوا : والمقصرين يا رسول الله ، قال: (والمقصرين) فقالوا: يا رسول الله، فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ بمعنى لم قويت دعاءك للمحلقين بتكريرك إياه ،قال: (لم يشكوا). لقد شكا بعض المسلمين ظنا منهم أن قريش فرضت عليهم شروطها، وأخذت منهم ما أرادت وهم بوافر قوتهم وصحيح عزمهم ، أما رسول الله ﷺ، فهو يرعى مصالح المسلمين، ويدير شؤونهم ويسوس أمرهم بشرع الله، فيخرج العالمين من الظلمات إلى النور ويعلمهم كيف يبقوا في النور سعداء طيبين، بعيدين عن الظلم والظلمات، ما داموا يتبعون سنته، ويبتغون رضوان الله ورسوله ﷺ فيحكمون ويتحاكمون لشرع الله، فكان رسول الله ﷺ، في صلح الحديبية، يسعى لعزل وتشتيت وتحجيم أعداء الإسلام وقد اجتمعوا على المسلمين، في غزوة الأحزاب وحاصروا المدينة المنورة ظنا منهم أن ساعة استئصال المسلمين قد حانت، فرد الله كيدهم في نحورهم لم ينالوا شيئا من المسلمين، وكانت قريش عقبة كئداء أمام المسلمين شديدة العداوة لهم، حريصة على استئصال شأفتهم ووأدهم في مهدهم، والتخلص من رسول الله ، وكانت خيبر وكر التأمر، وبؤرة التأليب والمكر وتجميع أعداء المسلمين، وغطفان وعربانها مستعدين لكل زحف وصيحة على المسلمين، في كل ساعة وحين، فكان لا بد من تفريق هذا التحالف، وأخذهم واحدا تلو الأخر وهم ساهون لا يعلمون ما يدبر لهم، فلا يقدرون على رده، فبدأ رسول الله ﷺ بقريش زعيمة الجزيرة العربية، وأعلاها مكانة وشرفا بينهم، بما حازته من سدانة الكعبة وخدمة حجاج بيت الله الحرام وحمايتها للحرم وعيشها في كنفه. والرسول لم يأتي لغنيمة، أو تأديب معتد أو محاربة عدو، جاء معظما لبيت الله الحرام، فهل تستطيع قريش منعه من دخول بيت الله الحرام؟ وتفقد مبرر وجودها ومبعث عزها؟ أليس البيت الحرام مفتوح وآمن لمن يؤمه معظما له متعبدا لله بزيارته، ألم يقل الحليس بعد أن رأى الهدي والمسلمون محرمون للعمرة، سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. وأنزل الله تبارك وتعالى سورة الفتح (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (3) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) 4 الفتح، من هذا الفتح أن الحرب وضعت أوزارها بين المسلمين وقريش مما أطلق الدعوة الإسلامية بين أهل قرش وبين العرب الذين كانو يحجمون عن الدعوة تحسبا لموقف قريش، وزالت عداوة قريش للمسلمين، حيث أنهم لم يكونوا يجتمعوا إلا للحرب، أما الأن فبينهم صلح لا عداوة فيه، وخذل أعداء المسلمين الذين كانوا يتقوون بقريش على المسلمين، وأصبحت دولة الإسلام في المدينة المنورة، دولة مهمة في الجزيرة العربية، لا يستهان بها تنافس قريش وتعقد معها صلح، وكل يوم تزداد قوة ومنعة وعددا وعدة، فحين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية بعث رسائل إلى ملوك وزعماء ذلك الزمان، ملوك الكيانات المحيطة في الجزيرة العربية والتي في أطرافها، بعث لهم يدعوهم إلى الإسلام، فقد أرسل إلى النجاشي ملك الحبشة وإلى المقوقس ملك مصر، وإلى كسرى ملك الفرس، والى قيصر ملك الروم، وإلى المنذر بن ساوي حاكم البحرين، وإلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق وإلى ملك عُمان، وهذا يبين أن أفاق الدعوة انطلقت إلى العالم خارج الجزيرة العربية بعد صلح الحديبية، حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه الرسائل إلى ملوك ذلك الزمان يدعوهم للإسلام، يبين للمسلمين وينبههم أن الإسلام دين البشرية كلها لايقف عند حد، وعليهم نشره وتطبيقه حيث طلعت الشمس وارتفعت رايته، يقول الزهري: لقد كان يوم الحديبية أعظم الفتوح، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إليها في ألف وأربعمائة، فلما وقع الصلح اختلط الناس بعضهم في بعض، أي تفرقوا في البلاد، فدخل بعضهم أرض بعض من أجل الأمن بينهم، وعلموا وسمعوا عن الله فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه، فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاءوا إلى مكة في عشرة ألف، وفي رواية أخرى فلما كانت الهدنة آمن الناس بعضهم بعضا، فالتقوا وتفاوضوا الحديث والمناظرة، فلم يكلم أحد يعقل بالإسلام، إلا ودخل فيه، وعن عمر رضي الله عنه أنه لما نزلت إنا فتحنا لك فتحا مبينا قال: أو فتح هو يا رسول الله ؟ قال : (نعم والذي نفسي بيده إنه لفتح) وروى البيهقي عن عروة بن الزبير قال: أقبل رسول الله من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحاب رسول الله : والله ما هذا بفتح صددن عن البيت وصد هدينا، فبلغ ذلك رسول الله فقال: (بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتح لقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم، ويسألونكم القضية ويرغبون إليكم الأمان، وقد كرهوا منكم ما كرهوا، ولقد أظفركم الله عليهم، وردكم سالمين غانمين مأجورين، فهذا أعظم الفتح، أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في آخركم، أنسيتم يوم الأحزاب) (إذا جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) فقال المسلمون صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، هو أعظم الفتوح والله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فكرنا فيما ذكرت ولأنت أعلم بالله... وبالأمور منا. وبعد ذلك تفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم لخيبر وكر الدسائس وحشد الأعداء ضد المسلمين، فسير رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة خيبر، بعد صلح الحديبية بشهر ونصف تقريبا قال ابن اسحاق: أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر، وانشغلت غطفان بنفسها وخوفها على ذراريها، فلم تستطيع نجدة أهل خيبر.

بيان صحفي

الدكتورة نسرين نواز مديرة القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

الإبادة الديموغرافية للمسلمين الإيغور ازدادت حدةً في ظل نظام رأسمالي ازدهرت في عهده سياسة القمع (مترجم)

وفقاً لتحقيق جديد صادر عن وكالة أسوشيتد برس يوم الاثنين 29 جوان، فإن السياسة العنيفة للحكومة الصينية في تحديد النسل القسري المفروضة على مسلمي الإيغور في تركستان الشرقية لخفض عدد سكانهم، هي أكثر انتشاراً وكثافة وأكثر منهجية عما كان معروفاً من قبل.

واستند تحقيق وكالة أسوشيتد برس إلى وثائق حكومية ومقابلات مع 30 من السجينات السابقات في معسكرات اعتقال المسلمين في الصين بالإضافة إلى مدرب سابق في معسكر الاعتقال. وكشفت أنه على مدى السنوات الأربع الماضية، أخضع النظام الصيني مئات الآلاف من نساء الإيغور المسلمات لفحوصات الحمل المتطفلة، ولوضع الأدوات القسرية داخل الرحم (اللولب) المستخدمة كإجراء لمنع الحمل، والتعقيم، وحتى الإجهاض، كجزء من حملته الوحشية، حملة «تعقيم لتحسين النَّسل» في المنطقة. وفي الوقت نفسه، يشجع النظام السكان الصينيين الهان غير المسلمين على إ ٔ باب المزيد من الأطفال.

ويواجه الإيغور الذين لا يلتزمون بسياسات الدولة الصارمة لتحديد النسل التي تمنع الأزواج من انجاب أكثر من طفلين، يواجهون خطر فرض غرامات باهظة تصل إلى آلاف الدولارات الأمريكية أو الاحتجاز في معسكرات الاعتقال في البلاد التي يوجد فيها مليون مسلم تم سجنهم بالفعل كجزء من أجندة النظام للتلقين السياسي لسكان الإيغور بالمعتقدات الشيوعية الملحدة. وقد ظهرت تقارير في السابق عن حقن النساء في هذه المخيمات بأدوية مجهولة لتعقيمهن كيميائياً أو تعرضهن لإجبار وضع اللولب. حتى إن الشرطة داهمت منازل الإيغور بحثاً عن أطفال مختبئين، بينما وضعت الحكومات المحلية أنظمة لمكافأة أولئك الذين يبلغون عن «الولادات غير القانونية».

ووفقاً لتحقيقات أسوشيتد برس، انخفضت معدلات المواليد في مناطق الإيغور بنسبة 60٪ ما بين 2015.2018 واستمرت في الانخفاض، مع انخفاض بنحو 24٪ في العام الماضي فقط مقارنة بانخفاض محلي بنسبة 4.2٪. وذكر التقرير أيضاً أنه بحلول عام 2019، خططت سلطات «شينجيانغ» لإخضاع ما لا يقل عن 80٪ من النساء في سن الإ ٔ باب في مقاطعات الأغلبية الأربع في المناطق الريفية من الأغلبية من الإيغور، لعمليات جراحية لمنع الولادة مثل اللولب أو التعقيم. وفي 2018، تم إجراء 80٪ من حالات وضع اللولب الجديدة في الصين في شينجيانغ التي بها عدد كبير من المسلمين الإيغور. كل هذا خلق مناخا من الرعب بين المسلمين الإيغور حول إنجاب الأطفال؛ أحد الحقوق الأساسية للإنسان.

هذه السياسة الشائنة للحكومة الصينية هي ببساطة وسيلة أخرى لتغيير التوازن الديموغرافي بين المسلمين وغير المسلمين في تركستان الشرقية لتقليل أعداد المسلمين الإيغور من خلال الهندسة الاجتماعية الوراثية ومسح ثقافتهم وهويتهم الإسلامية. قدم النظام في السابق حوافز مالية للصينيين الهان للانتقال إلى المنطقة، وللتزاوج بين الصينيين الهان والإيغور. ومع ذلك، وفي ظل هذا النظام العالمي الرأسمالي، لا توجد حكومة تجرؤ على اتخاذ أي موقف جاد ضد الصين خوفاً من التداعيات الاقتصادية، لأنه في ظل الأنظمة الرأسمالية للغرب وفي البلاد الإسلامية، تصبح المكاسب المالية والمصالح المحلية أعلى صوتا من مفهوم الإنسانية ولا استثناء. في الواقع، لا توجد دولة اليوم تقف حقا من أجل العدالة وضد الظالم. بل بدلا عن ذلك، أعطت هذه الحكومات الضوء الأخضر لازدهار القمع بتقاعسها. وعلاوة على ذلك، لا ينبغي أن يُعلق أي أمل على الأمم المتحدة لإنهاء هذه الإبادة الجماعية الفكرية والديموغرافية ضد مسلمي الإيغور، لأنها أثبتت مراراً وتكراراً عدم رغبتها في اتخاذ أي إجراء ملموس كبير ضد الديكتاتوريات ما لم تكن في صالح السياسة والمصالح الاقتصادية لمؤيديها من السادة الغربيين.

أيها المسلمون: لن تكون هناك نهاية للإذلال المقيت المتعنت بحق إخواننا وأخواتنا في تركستان الشرقية بغير إقامة حكم الله، الخلافة على منهاج النبوة. ولا يوجد نظام آخر غيرها يمثل مصالح المسلمين بإخلاص ويهب للدفاع عنهم دون تردد. إن إرثها ليس مجرد حديث فارغ عن حماية حقوق المسلمين، بل هو إرث مليء بأمثلة لا حصر لها عن كيفية وقوفه كمنارة للعدالة في العالم ومدافع عن المظلومين. لذا، ندعوكم للعمل لإقامة هذا النظام العظيم دون تأخير والذي سيضع حدا لحالة الخوف التي يعيشها المسلمون اليوم في جميع أنحاء العالم وسيجلب فجراً جديداً من الأمن والسعادة لأمتنا.

بيان صحفي

الدكتورة نسرين نواز مديرة القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير يطلق حملة بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لإبادة سربرينيتشا الجماعية بعنوان:

«سربرينيتشا: 25 سنة جرح لم يندمل» (مترجم)

في 11 جويلية 1995م، اجتاحت القوات الصربية جيب سربرينيتشا المسلم في البوسنة، حيث لجأ عشرات الآلاف من المسلمين من هجوم الجيش الصربي في شمال شرق البوسنة. وكانت الأمم المتحدة قد صنفت المدينة كـ«منطقة آمنة» وأعلنت أنها تحت حمايتها. وفي الأيام التي أعقبت الاستيلاء على سربرينيتشا، أعدم الصرب 8000 رجل وصبي مسلم بدم بارد. وقد وصفت بأنها أسوأ فظاعة على الأراضي الأوروبية منذ الحرب العالمية الثانية. وإلى جانب المذبحة، طُرد من المدينة ما بين 25 و30 ألفاً من النساء والأطفال والمسنين المسلمين كجزء من حملة التطهير العرقي الوحشية للمسلمين من الأراضي المتاخمة لجمهورية صربيا. وقد وعدت الأمم المتحدة مسلمي سربرينيتشا بالحماية، ولكن هذه الحماية لم تأت أبداً. وقد وُعدوا بأن توقف الحكومات الغربية الهجوم الصربي من خلال حلف شمال الأطلسي ولكن هذه المساعدة لم تتحقق أبداً. والواقع أن الأمم المتحدة لم تفشل في منع الاستيلاء على سربرينيتشا والمذبحة التي أعقبت ذلك فحسب، بل إنها نزعت سلاح المقاتلين المسلمين البوسنيين في المدينة، مما أضعف أيديهم ضد عدوهم. ففي قرية بوتوكاري، وهي قاعدة أخرى لقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، تعرض عشرات الآلاف من المسلمين من سربرينيتشا الذين التمسوا الحماية من القوات الصربية المتقدمة، تعرضوا لحملة إرهاب على أيدي القوات الصربية التي دخلت المنطقة. فقد قتل الجنود الصرب مئات المسلمين، وذبحوا الأطفال والرضع، واغتصبوا عددا لا يحصى من النساء والفتيات المسلمات. وقد شهدت قوات الأمم المتحدة العديد من هذه الجرائم، ولم تتمكن من وقفها.

وبعد مرور ٢٥ عاما على مذبحة سربرينيتشا الوحشية، لا يزال ضحايا المأساة ينتظرون العدالة ضد آلاف الجنود الصرب الذين ارتكبوا أشد الجرائم جسامة في حقهم وضد أسرهم. وهناك أمل مفقود في أن يفوزوا في كفاحهم من أجل العدالة. ولم تكن الإبادة الجماعية في سربرينيتشا سوى واحدة من سلسلة الفظائع التي ارتكبتها القوات الصربية ضد مسلمي البوسنة في حرب البوسنة بينما كانت حكومات العالم ـ المسلمين وغير المسلمين ـ تراقبها. شهدت حرب البوسنة التي استمرت ثلاث سنوات، من عام 1992 إلى عام 1995م، التطهير العرقي للمسلمين من مئات المدن والقرى في الوقت الذي سعت فيه الأحزاب الصربية في البوسنة وحكومة جمهورية صربيا التابعة لسلوبودان ميلوسيفيتش إلى خلق رؤيتهما القومية لصربيا الكبرى، مع إقليم صربي نقي عرقيا على طول نهر درينا. وقامت قواتها بشكل منهجي بتدمير المنازل، واحتجزت وعذبت وذبحت عشرات الآلاف من المسلمين بدم بارد، بمن فيهم النساء والأطفال وكبار السن. فقد قُتل 100 ألف شخص خلال الحرب، وشرد 2.2 مليون شخص، واغتصبت القوات الصربية 50 ألف امرأة وفتاة مسلمة، وكثير منهن حملن أطفالا نتيجة هذه الجريمة البشعة. كما اعتقل آلاف المسلمين البوسنيين في معسكرات الاعتقال الصربية حيث تعرضوا للتجويع والتعذيب والقتل.

وفي السنوات التي أعقبت مذبحة سربرينيتشا، وعد العالم بأن هذا «لن يتكرر أبدا»، وأن الدروس ستستخلص من هذه البقعة المظلمة في التاريخ الحديث؛ غير أننا نرى اليوم المذابح والجرائم التي ارتكبت في حرب البوسنة والإبادة الجماعية في سربرينيتشا، نراها تتكرر ضد المسلمين في كافة أنحاء العالم... وفي بعض الحالات على نطاق يفوق سربرينيتشا. كما نشهد استمرار عجز الأمم المتحدة، بل والتواطؤ منها ومن حكومات الغرب وحكام المسلمين، في الفظائع التي لا تحصى التي نُفذت ضد المسلمين اليوم؛ بما في ذلك في سوريا وميانمار وكشمير وفلسطين واليمن وتركستان الشرقية والهند...

وبمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لإبادة سربرينيتشا الجماعية، أطلق القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير حملة بعنوان «سربرينيتشا: 25 سنة جرح لم يندمل»، لتسليط الضوء على الدروس الحقيقية التي ينبغي استخلاصها من هذه المأساة الإنسانية وكيف يمكن كسر ارث الإبادة الجماعية التي تعاني منها أمتنا حتى لا يستمر التاريخ في تكرار نفسه. وستتناول الحملة كيف أن إحياء ذكرى أحداث الماضي الوحشية ينبغي أن يساعدنا على إعادة تشكيل مستقبلنا لتحقيق الأمن والعدالة كمسلمين، بما في ذلك في بلادنا.

يقول النبي ﷺ: «لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ».

يمكن متابعة الحملة من خلال الروابط التالية:

http://www.hizb-ut-tahrir.info/ar/index.php/hizb-campaigns/69202.html
https://www.facebook.com/WomenandShariaAR

المدير المسؤول
منصف المقدم

رئيس التحرير
حسن نوير

www.attahrir.info

المقر الاجتماعي
17 نهج باب الخضراء ـ تونس

التلفون: 71345949
الفاكس: 71345950
press@attahrir.info

imprimerie
STAG